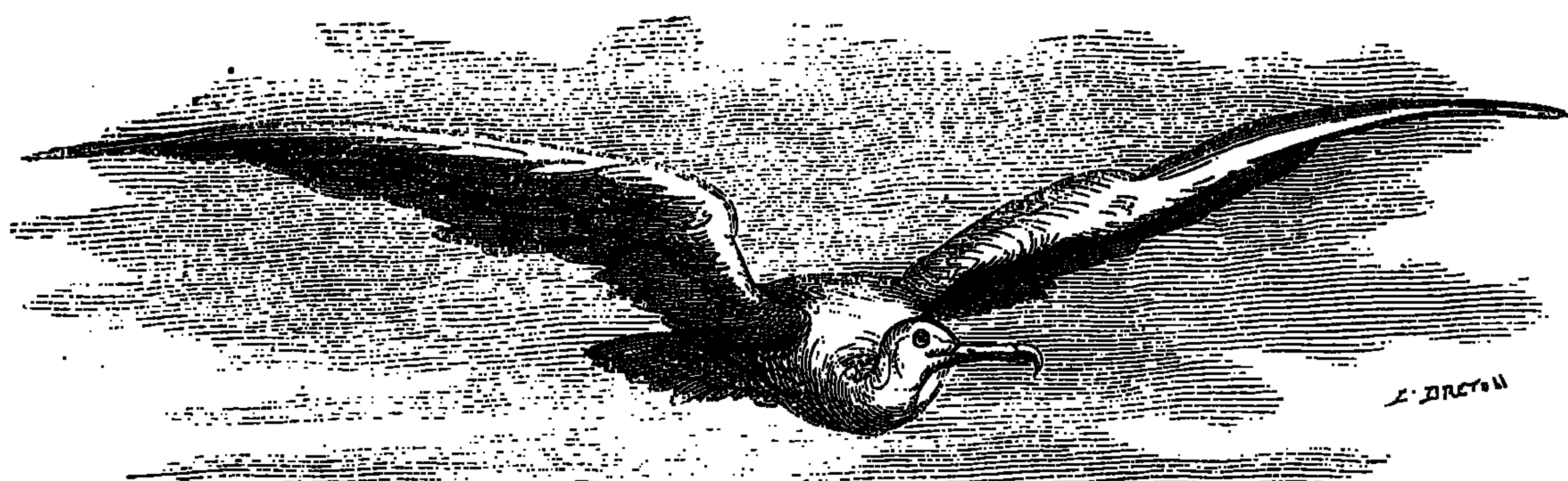
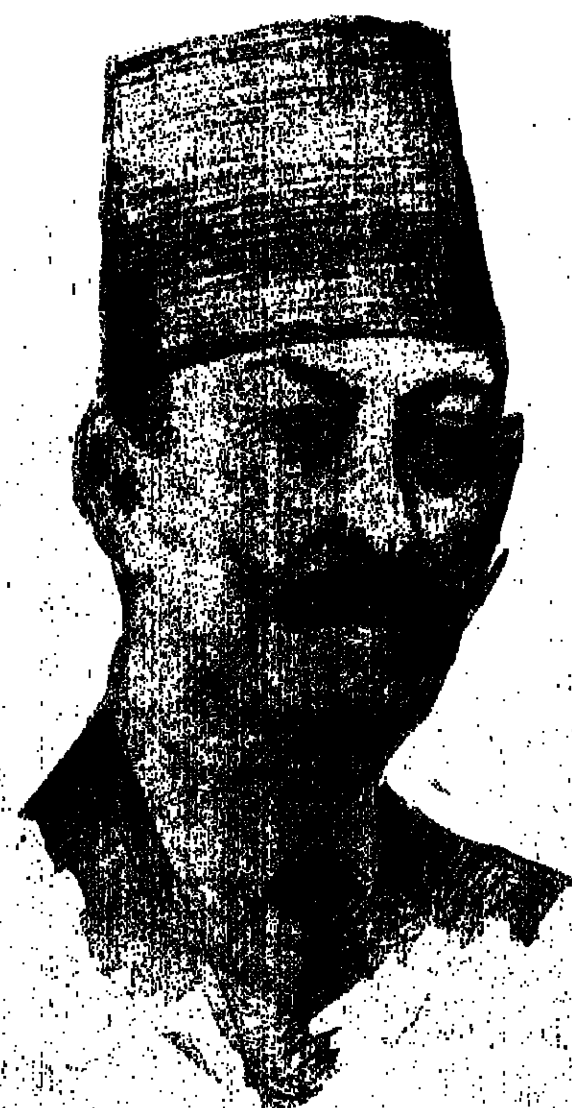
ملحق



■ بيروت الاحد ١١ ك٢
١٩٧٠ ـ العدد ٣٢٠٤ ■

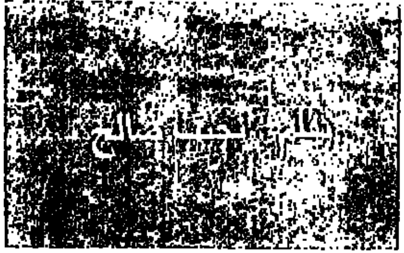


غرائب الرحلات مع طائر «الألباتروس»



صحافة الزجل ... صحافة الزمن الماضي







تقوم بأشياء عديدة ... والمطلوب واحد

هم ... وسنة السبعين

■■■ الواقع الجاف الذي يلف وضعناالفظيع .. من اقصاه الى اقصاه ، هو بالتمام والكمال ،على صورة ومثال السياسيين السكرانين بالامجاد اللبنانية : الاذاعية منها والتلفزيونية التي ترفع الراس عاليا عاليا عاليا !

والمعركة السبعينية التي بداوا يهيئون لها ، عن جد ، هذه المرة ، تكاد تاكل اخضر ويابس المسؤولين الذين تركوا جميع همومهم واتجهوا ناحية الهم السبعيني الذي لا نعرف اية نتائج مدمرة سيحملها الينا؟!

المسؤولون الذين شبع هذا الشعب منهم خدمات ، زهقوا ، على ما يبدو ، من خدمة الشعب فارادوا ان يتركوه وشانه لينصرفوا الى شؤونهم الخاصة والتي ، ما هم ، لو خرب البلد بسببها !

انهم هيك . واللي مش عاجبو يدق راسو بالحيط !

وما زال حيط المسؤولين ليس واطئا ، كما يتراءى للبعض ، فان مسؤوليتهم ستظل مفروضة علينا شئنا ام ابينا ، فهم يشاؤون ذلك، وهم مثل امراة القيصر فوق الشبهات !

عاش المسؤولون العظيمون !

■ « الملحق » ■

مُلحق الأنوار الاسبوعي
مجلة اسبوعية جامعة

رئيس التحرير :
روبير غانم
المدير المسؤول :
علي بلوط

يصدر عن : دار الصياد للصحافة والطباعة والنشر ش.م.ل
راسمالها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ليرة لبنانية مدفوع بكامله

المدير العام :
بسام فريحة

الادارة العامة والتحرير :
دار الصياد - الحازمية - ص.ب : ١٠٣٨ - ٩١٨
تلفون : ٢٦٠ ٢٨٠ / ٤ خطوط
الاعلانات : مكتب خاص - بناية صمدي وصالحة - الطابق الثاني غرف رقم ٢٥ و٢٦ شارع سوريا - تلفون ٢٩٥٨٧٣ - ٢٥٥١٨٢ - ٢٥٩٩٦١
خط خاص للتوزيع : ٢٨٥٨٧٨

عملية غسل دماغ للجيل الصغير مطلوب فورا مجابهتها بشراسة

●●● في الحلقة الاولى كنا بصدد جانب عام من جوانب الحياة الفلسطينية في المخيمات اللبنانية . وبالتاكيد ، فان ما اوردناه لم يكن الا لحظة من لحظات الصورة ، فهناك اشياء كثيرة تمنعنا الظروف الخاصة من الوصول اليها ، وبالتالي هناك اشياء اخرى لم تزل مكتومة ومجهولة !

وبصدد الحلقة الثانية نصل الى الجزء الثاني من موضوع الشكاوى الملحة التي ترد بالتدريج الى المديرية العامة لشؤون اللاجئين وهي التعليم وتطبيب العائلة . هذا الجزء متسع ومتشعب ، وما يهمنا منه هو جانب واحد عليه الاضواء كلها . فالتعليم الذي يكون ابرز جوانب الشخصية الفلسطينية ملوث بجراثيم سامة تماما مثل الرعاية الصحية التي ينقصها رعاية صحية ! فمبدئيا ، هناك في كل مخيم من المخيمات الستة عشر وحدة تعليمية ووحدة صحية ولكن ...

التعليم والتطبيب

يرتبط الواقع الفلسطيني في لبنان بجملة قضايا هامة وخطيرة في نفس الوقت ، ابرزها ولا شك التعليم ، وبالتالي الرعاية الصحية وهما يشكلان العنصر الحياتي في البقاء والاستمرار .

فالتعليم لم يطرا عليه اي تغيير او تجديد منذ وجود « الاونروا » المشرفةالرسمية عليه ، وذلك على امتداد عشرين سنة مضت . هذا باستثناء ارتفاع عدد المنتسبين الى المدارس التابعة الى الاونروا يقابله ارتفاع في انتساب الفلسطينيين الى المدارس اللبنانية الرسمية وغير الرسمية ، وعلى سبيل المثال نجد ان عدد التلاميذ في المدارس اللبنانية الابتدائية يربو على ٢٣٦٥ تلميذا خلال عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ بما في ذلك ١٩٦٣ تلميذا في المدارس الاعدادية الخاصة والرسمية . وفي مقابل هذا العدد الضخم نجد ان ما تقدمه وكالة الغوث لهؤلاء من مساعدات هو بنسبة ١٢٥ مساعدة لتلاميذ المدارس الحكومية ، و ١٢٧٥ مساعدة لتلاميذ المدارس الخاصة ، ويبلغ المجموع المالي ٨٨٤١٠٠ دولار .

هذا مع ملاحظة ان الطلاب الفلسطينيين ليس لهم نصيب من المساعدة المادية وليس لهم وجود فعلي وتربوي في رياض الاطفال ، لا بالنسبة لوكالة غوث اللاجئين ولا بالنسبة للمدارس الرسمية وغير الرسمية ، اي من حيث قبولهم في مدارس الاونروا او من حيث تقديم المساعدة لهم في المدارس اللبنانية الرسمية وغير الرسمية .

معنى ذلك ان التلميذ الفلسطيني غير المستطيع ماديا يظل دون مدرسة حتى السادسة من عمره او السابعة ليلتحق بالمدرسة ، ومن المتعذر في الاحوال الطبيعية قبوله في المدارس الرسمية في هذا السن وبالتالي في اكثر المدارس الخاصة ، لان قانون وزارة التربية اللبنانية ينص على قبول التلاميذ على اسس اعمارهم في صفوفهم الابتدائية وغير الابتدائية . وعلى سبيل المثال ، فان المدارس الابتدائية الرسمية وغير الرسمية المحترمة ترفض قبول التلميذ الذي بلغ من العمر السادسة في الصفوف الاولى ، الا اذا كان حاصلا على شهادة تثبت انتسابه ونجاحه في رياض الاطفال ، كذلك يرفض كل تلميذ تجاوز سنه الثالثة عشرة في الصف الاول المتوسط اي بعد حصوله على السرتفيكا اللبنانية ، كذلك تتكرر نفس الاحوال في الصفوف التكميلية . معنى ذلك ان الطالب الفلسطيني الذي حرمته ظروفه الخاصة من الالتحاق بالمدرسة في السن القانوني يظل محروما منها الا اذا قبلته بعض المدارس الخاصة وباقساط محددة ومرهقة في بعض الاحيان ، او وجدت له وكالة الغوث مكانا في مدارسها . هذا كله مع ملاحظة ان مدارس وكالةالغوث لا تستوعب الا اعدادا خاصة ومحددة في ١٨ مدرسة من مدارسها ، اي بمعدل مدرسة لكل مخيم باستثناء مدينة بيروت .

المعادلة بالارقام

خلال عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ كان مجموع عدد طلاب مدارس الاونروا — الاونسكو ٣٥٠٠ تلميذا منهم ١١٤٠ فتاة ، وفي سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ كان هذا الرقم ٥٢٥٠ تلميذا منهم ١٨٤٠ فتاة . اما في السنة الاحصائية الاخيرة ١٩٦٨ — ١٩٦٩ فوصل الرقم الى ٦٥٤٠ تلميذا ، وفي المقابل ظل عدد المدارس على ما هو عليه ٤٩٩ غرفة منها ٢٤٥ غرفة بنتها الوكالة ، ٢٢٨ غرفة مبان مستاجرة ، ثلاث غرف خيام و ١٣ غرفة مقدمة كهدية ، وهناك ٤٣ صفا في مدارس وكالة الغوث تعمل على اساس الدوام المزدوج .

فعلى الرغم من تزايد عدد الطلاب في جميع المراحل ظلت مدارس وكالةغوث اللاجئين من حيث عددها ، ومن حيث عدد غرفها على ما كانت عليه ، ومعنى ذلك ان نسبة الزيادة تكاثفت في الغرفة الواحدة ولم تتسع في المكان الواحد ، اي ان وكالة الغوث لم تنشيء مباني جديدة او مدارس جديدة لاستيعاب الاعداد المتزايدة من الطلاب الفلسطينيين .

من ناحية اخرى ، لو حاولنا ان ناخذ نسبة الذين يتلقون التعليم من الفلسطينيين المقيمين في لبنان ، وذلك بالنسبة الى المسجلين على دفاتر وكالة الغوث ، وهو ادنى رقم غير طبيعي حتما ، لوجدنا انالنسبة ضئيلة جدا خاصة اذا قابلناها بالنسبة العددية للطلاب اللبنانيين المنتسبين للمدارس الرسمية والخاصة ، وهذا التفاوت لا شك ان وكالة غوث اللاجئين هي المسؤولة الوحيدة عنه ، واذا حاولنا ان نعود الى الاسباب الفعالة والايجابية لوجدنا ان غياب الاهتمام والمراقبة هما العنصران الوحيدان المفقودان من خطة وكالة غوث اللاجئين في لبنان وغيره ، هذا بالاضافة الى اعتبارات خاصة في حساب الوكالة نفسها .

هناك على ما يبدو من طبيعة الارقام مجموعة هائلة من الطلاب الفلسطينيين الذين لا يستطيعون الوصول الى مقاعد الدراسة في المدارس ، وهناك ايضا اعداد لاتحصى من الاولاد الذين يعجزون عن الوصول الى مقاعد الدراسة خاصة بالنسبة للظروف المادية .

اما من حيث مستوى التعليم ، وفي مدارس وكالة الغوث « ١٨ مدرسة » فهو متدن جدا ، هذا اذا قيس بالمستوى التعليمي والتثقيفي والتربوي لاقل مدارس العالم المتخلف المعترف به . ذلك يرجع مبدئيا الى ضعف الجهاز التعليمي الذي يتوكل على اقل الكفاءات ، على ادنى مستويات المراقبة ، على ابسط اسباب الرعاية . فضعف مستوى الادارة التعليمية المنشغلة بالامور السياسية هو السبب الاول والاخير من حيث ضعف مستوى الجهاز التعليمي نلاحظ من خلال النتائج التي تقرر مبادىء النجاح والسقوط ، ان نسبة النجاح الذي تحققه مدارس الاونروا في الشهادات الرسميةالمعترف بهاوغير المعترف بها رسميا لا تتجاوز الثلاثين بالمئة في مختلف المراحل ، هذه نسبة متدنية جدا اذا قيست على الاقل بواقع الحال في المدارس اللبنانية الرسمية والخاصة ، والتي اخذ متوسطها حدا معينا لا يتدنى باي شكل من الاشكال وعلى اختلاف الظروف والاحوال عن الستين بالمئة .

اما وكالة الغوث فقد اختارتهيئات التدريس او هي تختار هيئات التدريس ليس على اساس الكفاءات الثقافية والتربوية بل على اساس العلاقات السياسية التي تضطرها في كل الاحوال والظروف على التصفيات لا على الكفاءات . ففي لبنان تتشكلالهيئات التدريسية على اساس سياسي محض لا على اساس تربوي ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تفضل وكالة الغوث اختيار المنتمين اليها سياسيا وان كانوا غير مقيمين او غير ملتمسين الى واقع سجلاتها في لبنان ، المهم ان يدينوا اليها بالولاء السياسي مهما كانت هوية اقامتهم او انتسابهم المكاني .

في لبنان مجموعات تزيد على النصف من اللبنانيين سجلوا موقفا سياسيا الى جانب الوكالة وهم في الحقيقة من اللبنانيين وليسوا من الفلسطينيين المقيمين في لبنان .

هناك سبعون بالمئة من المدرسين في وكالة غوث اللاجئين بين لبنانيين واجانب غير مقيمين اصلا في لبنان ولا في سجلات وكالة الغوث او في احصاءات المديرية العامة للامن العام ولا ضمن ملفات المديرية العامة لشؤون اللاجئين ، هذا ما يغلب على وجود نزعة غير تعليمية او تربوية او مفروضة في هيئة التدريس التي وجدت لتحقيق اهداف محددة وهادفة الى اغراض مرحلية تنتهي من حيث مطلقها الى مصلحة بعيدة كل البعد عن رفع مستوى الطلاب الفلسطينيين .

معنى ذلك ان الجهاز التعليمي في مدارس وكالة غوث اللاجئين ما هو الا خطة تنفيذية في سياسة تلك الوكالة التي ترمي الى تحقيق مراحل سياسية معلنة وغير معلنة . هذه المراحل نلمسها في ابعاد السياسة الاميركية الهادفة اولا واخيرا الى مبدا توطين اللاجئين واذابتهم في المخيمات العربية التي يقيمون فيها لاجئين وغير لاجئين .

الكتب جزء من الخطة

اذا حاولنا ان نقترب الى تحديد الاشياء لوجدنا ان وكالة غوث اللاجئين وضعت برنامجا للتعليم بالاتفاق مع منظمة الاونيسكو قوامه ست سنوات للمرحلةالابتدائية : ثلاث سنوات للتعليم الاعدادي ، اما التعليم العالي فلعدد خاص من ابناء الطبقة البرجوازية الفلسطينية التي لها نفوذها ولوكالة الغوث مصلحة معها ، ومع ذلك فهناك عدد ضئيل من المنح الجامعية ، والمشكلة ليست هنا بقدر ما هي في المواد التي يدرسها التلاميذ الفلسطينيون — اي في الكتب — فمنذ عام ١٩٥١ فوضت الامم المتحدة هيئة الاونيسكو الاشراف على مناهج التعليم في جميع المراحل ، ولاسباب غير معروفة ، وغير معلنة تخلت الاونيسكو عن مسؤوليتها ، وربما التصيت من تلك المهمة الخطرة التي عهد اليها برعايتها ، والمسؤولية هنا ترتبط بحوالي ١٩٠٠٠٠ الف تلميذ في ٤٥٠ مدرسة موزعة على البلاد العربية المضيفة للاجئين ولعل هذا اخطر ما في الموضوع .

ليس امامنا الا ابراهيم شمان المتخصص الاول في خبايا هذه الامور ليدلنا على الاسباب والخفايا يقول : « ان الاموال المخصصة للتعليم تصرف على برامج لتغذية الدعاية ضد اليهود . فالطلاب الفلسطينيون يخضعون لعملية غسل دماغ مستمر ليكرهوا اسرائيل ، فمن ضمن ما يدرسه الطلاب ان اليهود هم اعداء العرب قريبا سوف تحرر فلسطين من ايديهم » .

في راي ابراهيم شمان ان هذه الاسباب هي التي دفعت هيئة الاونيسكو للتخلي عن الاشراف على التعليم ، والسبب كما يبدو ان اللاجئين لا يتعلمون حب اسرائيل بل يتعلمون كرهها ، ولا ادري باي حق من الحقوق يتجرا الخبير الاميركي بشؤون اللاجئين وغيره لقول هذا الكلام ؟ ولا ادري كيف مر هذا الصوت في البلاد العربية منذ سنة دون تعليق او تدبير ؟ فهل كانت وكالة الغوث في معنى وجودها لتعليم الطلاب الفلسطينيين حب اسرائيل التي طردتهم من ارضهم وسلبت حقهم ، وهل تقدم الامم المتحدة مساعداتها لوكالة الغوث وبالتالي للاجئين حتى يحبوا اسرائيل وينسوا فلسطين ؟

هذا السؤال لا يمكن ان يكون الرد عليه بتطييب الخواطر . فعلى الجهات الفلسطينية المخلصة التحقيق فيما يجري داخل مدارس وكالة غوث اللاجئين ومعرفة ما اذا كانت هناك عمليات غسل دماغ عربية ام اسرائيلية ؟!

نرجع مرة اخرى الى ابراهيم شمان فيقول : « ان واحدا من دفاتر التمارين المدرسية يظهر خارطة اسرائيل وصاروخا موجها الى قلب تل ابيب لتدميرها . وكتاب اخر لطلاب سن الـ ١٤ يؤكد ان اسرائيل توجد في قلب الوطن العربي . ان محوها ضروري لحفظ العروبة وبعث العرب » .

ماذا ينتظر من الطلاب الفلسطينيين ان يضعوا في خارطة اسرائيل وعلى تل ابيب ؟ وردة حمراء ؟! هل يتوقع ان يعتبر الطلاب الفلسطينيون اسرائيل عاصمة البلاد العربية ؟

الخطة السارية المفعول

لعل اهم ما يلفت النظر في كلام هيرشمان ان الامم المتحدة وخلفها الولايات المتحدة تريد مع سبق الاصرار ان تاخذ ثمن المساعدات التي تقدمها الى اللاجئين اعترافا من الجيل الجديد عن طريق المدارس باسرائيل ، والدليل ما يقوله الشخص الوحيد الذي يكتب مذكراته للاستخبارات الاميركية ، والتي تعتمدها الحكومة الاميركية بالنص الحرفي والدليل ان ما يقوله هيرشمان تنفذه او تعمل على تلبيته الاستخبارات الاميركية ، او بالعكس . فالولايات المتحدة تطلب بلسان هيرشمان ، او هو يطلب باسمها ان يتشرب الجيل الفلسطيني الجديد دما لا يسري في صدور آبائهم ، ولعل الشيء الخطير الذي يستنكره هيرشمان والحكومة الاميركية ان يتعلم الفلسطينيون كره اسرائيل وحب تدميرها . هذا الواقع اذا كان لا يعجب هيرشمان او الحكومة الاميركية ، فانه بالتالي ، لم يعجب وكالة غوث اللاجئين ، التي تطالب بالغاء الكتب التي تبحث هذا الموضوع لتحل مكانها الكتب التي تعترف اسرائيل بها وتعترف بدورها باسرائيل ، بانها دولة وجدت لتبقى .

ولا تزال وكالة الغوث حتى الان تناضل وتحارب في سبيل تحقيق فكرتها على اساس ان القضية الفلسطينية المولجة بها انما هي قضية انسانية وليست قضية سياسية .

السؤال الذي نطرحه امام المسؤولين في وكالة الغوث يتعلق بالحجة التي تتمسك بها . فاذا كانت قضية فلسطين قضية انسانية فهل تعتبر ان تقتيل وتشريد شعب باسره من ارضه قضية انسانية ؟ قد يكون هذا خارجا عن اختصاص وكالة الغوث ، لكن اذا تعلم الطلاب تاريخ وطنهم وارضهم ، وعرفوا حقيقة تشريدهم ، هل ذلك قضية سياسية من وجهة نظر وكالة الغوث ؟

من الواضح ليس بصدد هذه النقطة ان وكالة الغوث ما هي الا امتداد طبيعي لسياسة مرسومة ترمي الى توطين اللاجئين واذابتهم في الوطن العربي ، وهذا الواقع يسلخها عن طابعها الانساني الذي تتذرع به في كل المناسبات ، وما دامت من حيث المبدا بهذا الطابع فمن الضروري والملح اعادة النظر في استمرارها ، خاصة في هذا الوقت الذي يحمل الشعب العربي على اختلاف فئاته مسؤولية القضية الفلسطينية ، فقد جاء الوقت الذي يجب ان نحرس فيه قضيتنا الفلسطينية من البداية حتى النهاية ، والا فاننا سنظل نستهلك الزمن حتى تذوب وتذوب معنا القضية .

علينا ان نرفض الوجوه المتعددة التي تتاجر بالقضية الفلسطينية فالانسانية التي لا تعترف بحق شعب فلسطين بارضه لا يمكن ان يكون العمل تحت شعارها خالصا لمصلحة الفلسطينيين والعرب . فالذين يرفضون حتى الاعتراف بالجانب الانساني للقضية الفلسطينية هم انفسهم الذين يقفون خلف وكالة غوث اللاجئين تحت نفس الشعارات ، ليحققوا على الاقل الشعار السياسي والحقيقي الكامن خلف نياتهم الواضحة والتي لم تعد قابلة للجدل والمناقشة .

وعودة الى صلب الموضوع ، هذا ليس كل شيء في سياسة وكالة الغوث التعليمية ، انما هو مدخل للموضوع ، في الاسبوع المقبل نتابع حديث الارقام والاحصاءات عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للفلسطينيين في لبنان .

في « الملحق » المقبل
(الحلقة الثالثة)



■ فريق من التلميذات يجتمع لبدء الدراسة حين يغادر المدرسة فريق آخر ■



■ جانب من احد صفوف مدارس وكالة الغوث ■



■ احدى مدارس رفح في قطاع غزة دمرت اثناء الاعمال العدائية ■

جدول بنفقات ادارة وكالة الغوث

السنة الدراسية	نفقات الموظفين	المصاريف الاخرى	المجموع
١٩٦٦ — ١٩٦٧	٧٩٥٥٩	١٤٨٥٤	٨١٤٤١٠ دولارات
١٩٦٧ — ١٩٦٨	٨٥٧٩٠	٢٤٤٥٥	٨٨٤٢٤٥ دولارا
١٩٦٨ — ١٩٦٩	١٠٠٨٣٦	٢٤٤١٥	١٠٣٤٢٥١ دولارا

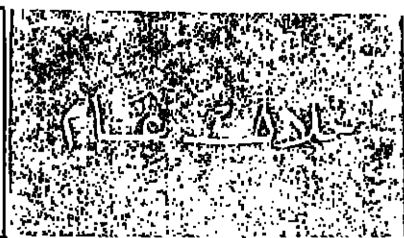
جدول بنفقات الموظفين بالتعليم الابتدائي

السنة الدراسية	عدد الوظائف	النفقات بالدولارات
١٩٦٦ — ١٩٦٧	٥٥٥	٩٦٦٤٣٠٩ (فعلية)
١٩٦٧ — ١٩٦٨	٥٦٥	١٤٠٠٣٤٠٠٠ (تقديرية)
١٩٦٨ — ١٩٦٩	٥٩٠	١٤٠٦٨٤٠٠٠ (تقديرية)

جدول بنفقات الموظفين بالتعليم الاعدادي

السنة الدراسية	عدد الوظائف	النفقات بالدولارات
١٩٦٦ — ١٩٦٧	١٦٢	٣٠٣٤٢٥٦ (فعلية)
١٩٦٧ — ١٩٦٨	٢١٧	٤١٢٤٥٠٠ (تقديرية)
١٩٦٨ — ١٩٦٩	٢٤٣	٤٧٠٤٠٠٠ (تقديرية)

هكذا في الأصل



طفتُ معظم العواصم العربيّة ... وبقيت في والآن، أنقل إليكم، على شاشة السّفر، جديد ما شاهدت

كتب أحمد سعيد محمدية

●● اسميت نفسي السنة الماضية « المواطن العربي الاول » ، ولم تكن التسمية هجينة او فيها زعم بالفخر الذاتي غير الواقعي ، ولم تكن ايضا تيمنا بلقب الرئيس المرحوم شكري القوتلي .

اسميت نفسي كذلك لانني مواطن اسعده عمله كي لا يعيش في بلد عربي بعينه بل يسكن على امتداد الخارطة العربية الكبيرة الرحبة ، ويقضي ايامه كلها متنقلا من اقصى الوطن الى اقصاه ، من ازقة صنعاء الى شوارع القاهرة العملاقة ، ومن أسواق دمشق الى احياء ام درمان ، ومن الصحراء الليبية الى الجنوب السوداني ، ومن البسطا الفوقا في بيروت الى هضبة القصبة في الجزائر ، ومن حي الشيخ عثمان في عدن الى اربد والاغوار في الاردن .

هكذا قضيت السنة الماضية والسنة التي سبقتها ، وهكذا تدرجت في السفر من أربع سنين خلت ، حتى بات جناح الريح مسكنا لي ، وحتى اضحت القارة العربية الكبيرة صغيرة امام خطواتي السريعة المتماتية ، وكنت كلما جلت جولة على الخارطة العربية الرحبة ازداد يقينا بوحدة هذه الامة حتى بت ارى كل عاصمة عربية قسمة من قسمات الوجه الواحد الاليفة .

وعلى عتبات السنة الجديدة والانسان ممتلىء بحوافز الامل والتمني ليس افضل من ان نتأمل قسمات هذا الوجه وان نتفقد بعض تفاصيله . باحساس العربي وشوقه في ان يرى وجه امته هذا خالصا من نتوء الانفصالية والاقليمية والطائفية والقبلية ، وكل ما يمثل بذور المرض الذي لحق به نتيجة التفكك والتخلف .



القاهرة

القاهرة ديوان لشعر العرب .. انها النيل والخضرة والعراقة والتاريخ ، وهي بمثابة الصدر من الجسد وما يشمل من قلب ورئة ، هذا اذا لم نقل انها الجسد والراس .

الذي يتجه الى بقية الوطن في افريقيا يعبر القاهرة ، والذي يأتي الينا في المشرق من مغرب العرب يعبر القاهرة ، والذي يود ان ينتجع يقصد القاهرة ، والذي يود العيش في محاريب العلم باسهل الاسباب وارخصها يتجه الى القاهرة . فكيف لا تكون القاهرة قلب العرب وراسهم .

قضيت فيها هذه السنة ثماني رحلات فيما كنت بصدد الاتجاه الى السودان او اليمن او المغرب ، وكنت كل مرة ارى في القاهرة سرا جديدا لم اكتشفه من قبل حتى بت احس ان السنوات السبع التي قضيتها فيها طالبا لم تعرفني على اعماق عاصمة العواصم العربية هذه .

● حي الازهر ترتفع فيه المنابر والمآذن وعلى الجدران كيفما اتجهت تجد النقوش والزخرف التي تذكر بالمدنية العربية التي غربت ، وان تركت بعض مظاهرها .

« الازهر » يذكر بالماضي التليد العظيم الذي وقف فيه العرب وقفة الرجل الواحد فدحروا من جاؤوا من الغرب ، وانتصروا بقوة شخصيتهم الواحدة الموحدة على جيوش الغزاة المعتدين .

ان الامة العربية امة غنية ولكن ثمانين بالمئة من امة العرب مثل ابناء « البطلية » و « الدراسة » لا يقراون وهم فقراء في حين ان الثروات تجري من تحت الاقدام وتعبر من فوق الرؤوس وتنثال من التخوم بشكل زئبقي مخيف . ان الازهر بطموحه العلمي الراهن ، وباصالة انتمائه للماضي ، وبفقر الناس فيه ، وبجهل الاخرين في ازقته ، هو الامة العربية بصورتها العارية وبجملة واحدة مختصرة ومركزة .

● « القلعة » هي اخر من احياء عاصمة العواصم العربية الذي يكتشف فيه الانسان سرا من اسرار مصر التي تضرب جذورها في التاريخ عميقا .. ان الذي يصل القلعة يستطيع ان يربط حاضر مصر بماضيها القريب ويستطيع بالتالي ان ينفي كل ما قيل افتراء على شعب مصر وعلى عدم قدرته على القتال .

ان ابرز ما يؤكد ذلك — من خلال التذكر — هو قلعة محمد علي والجامع الكبير المقام على ظهرها .. ان هذه القلعة كانت يوما من الايام — وما زال بعضها — مقرا للجند المقاتلين ، اولئك الذين وصلوا تخوم اسطنبول عاصمة الامبراطورية العثمانية ، وقهروا اكبر دولة عسكرية في المنطقة والعالم ، واستطاعوا — من خلال المقاتل المصري نفسه — ابن الماضي القريب — ان يشيدوا صرح مصر العصرية رغم ظلم وظلام الحاكم .

ان حي القلعة ينقلك — بهذا — الى السويس والاسماعيلية وبقية اجزاء الجبهة ويضع امامك سؤالا بسيطا عميقا : كيف لا يستطيع احفاد جند ابراهيم باشا ووالده محمد علي باشا الا يكونوا هم انفسهم الذين يصلون شمال سوريا الجغرافية عبر الارض المحتلة كلها لا ان يحرروا سيناء وحسب .

● ونجول في القاهرة من حي الى حي فتجد نفس الملامح في كل حي — مع الفوارق الطبقية بالطبع — .. ان روح مصر العظيمة قد تغلغلت في كل الاشياء . ولكنك تذكر مع هذا وفي اي لحظة اتيت مصر بعد كارثة حزيران تلك الاحزان الهائلة التي تعتصر قلب المصري ، ذلك الذي سقط نفسيا من قمة البهجة بالنصر — كما سقط كل عربي — الى قاع مذلة الهزيمة .

لقد تحركت مصر الان باحساسين : احساس الوطنية المصرية بكل ميزانه الذي يبلغ خمسة الاف سنة من العمر واحساس التعاطف القومي وقد انشدت مصر اليه كيانا ومصيرا قبل قرن او ما يزيد ، ناهيك بصلات التاريخ والدين منذ عمر بن العاص او رسل العرب لمصر .

في القاهرة تحس ذلك وتحس انجذاب كل انسان في مصر نحو المعركة حتى انجذاب اولئك الذين يلومون او يسخرون او يتفكهون بمرارة . وتحس مع هذا بمعركة الوجود العربي — من خلال مصر — كابدع ما يكون ، ولا تملك مع ما ترى الا ان تتفاءل .



عمان

الملامح الاساسية التي يشهدها المراقب في وجه عمان عند الاطلالة الاولى عليها هذه الايام هي المجالدة والصبر ، والتطعم بجو الحرب ، مع قدرة اسنانها على حمل الالم الوطني وسط المعاناة الشخصية ، وكل هذا وسط مناخ متفائل ايضا لا تلوح فيه اي علامة من علامات التشاؤم .

واذا اراد المراقب ان يفحص عمان والاردن كله بصفة خاصة بعد استطلاعه تفاصيل الصورة العامة فانه سوف يرى عمان رجلا عظيما يثبت على ارض صلبة هي ارض الفداء ، وانه يتميز باخلاق الفداء التي هي الجلد والتضحية والصبر على المكاره ، واستعذاب الشهادة ، وسط محنة الوطن والمحنة الذاتية .

وكيفما وليت وجهك مع هذا في عمان ترى ذلك النفر الذي يمثل وجه وروح الاردن كله واعني به : الشباب الغض ، الذي انبرى كالشهب وسط ظلام الانكسار ، ابن المخيم المهترىء في نهر البارد وعين الحلوة والبقعة واليرموك .

تراه في شوارع عمان وعلى تلالها ، وتراه بعد ذلك في قاع الوديان ، قنابله على حزامه ورشاشه على كتفه ، ولحيته طويلة ، وفي وجهه احزان البيارات ، وفي عينيه ذلك الوميض الذي يمثل عزم الشعب الفلسطيني .

هذا الرجل — وفي الاردن بالذات — هو ابن البعث الفلسطيني الجديد ، الذي كانت حرب حزيران ونتائجها سبب اندلاعه كاللهب المقدس وسط هشيم الموت والذل والانهيار .

وهو — الرجل الفلسطيني — الذي يمثل بحق ليس الروح العربية في الاردن كله ، وانما روح الانسان العربي الجديد الذي هزته النكبة الحزيرانية الجديدة حتى اعماق الاعماق .

هذا ما تحسه في عمان وهي قلعة صامدة .. ولا تحس معه الا بالارادة الصلبة التي لم تقهر عبر العشرين سنة الذليلة المنكسرة الماضية .. الارادة الفلسطينية التي استنبت اصحابها صخر الجبال عند خيامهم الجديدة — التي تحولت الى معسكرات — .

ويتساءل — مع هذا — من يدخل عمان وقد باتت ارضا تتكسر فيها الحدود العربية من خلال التقاء المقاتل الفلسطيني والاردني والعراقي والسوري في الجبهة الواحدة ، يتساءل اي معجزة بسيطة عميقة خالدة يؤكدها في الاردن شعب فلسطين ، الشعب الذي امتحن وابتلي حتى اخر ذرة في وجوده .. كيف يعمل كادحا الان والدموع في عينيه .. لا يرضى ان تبقى قدماه في وحل القعود والصمت .. لا ياذن لنفسه رغم كل ما جرى ان يخلد للانهيار المهزوم .

واذا مضيت الى عمان دخولا في التفاصيل .. نزولا الى اسواقها في قاع الاودية — وعمان مبنية على القمم والتيجان — وصعودا الى الروابي ، ودخولا الى الاحياء والازقة فانك سوف تشاهد صورا كثيرة متلاحقة من الوطن الفلسطيني الذي ضاع ، فتتذكر حيفا وعكا ويافا ونابلس والقدس .. وتحس ان عمان هي بقية وطن العرب الفلسطيني التي يجب ان نمسكها الان بالنواجذ ، ونضع على اسوارها القلوب والمهج فادية وحارسة .

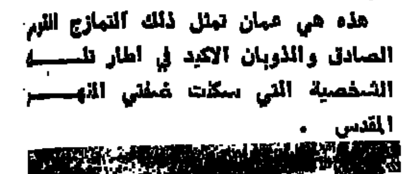
مطعم حارة النصارى .. مطعم شعبي صغير للفلافل والباذنجان المقلي ، بقالة الكرمل على جبل نظيف يذكرك بكرمل حيفا الاخضر المطعون الان بالف حربة اسرائيلية ، جريدة الدفاع .. يصرخ باسمها الباعة فتسقط من امامك العشرون سنة البائسة الذليلة ، وترتد بك الصورة بكل تفاصيلها للماضي حيث دفء الوطن والاهل . بائع الكنافة النابلسية الذي يضع امامك باختصار شديد المدينة العظيمة ، ويذكرك باهل نابلس الاشاوس الذين يبداون اكل الحلوى قبل تناول الطعام ، ويذكرك بنابلس الصابرة المتمردة التي شرعت لواء الثورة الصادقة على المظالم السوداء في كل العهود .

بائع الصلبان من خشب الزيتون وقبة الصخر من الصدف الصقيل حيث يحطك على عتبات القيامة ويدخلك المدينة الحزينة النائمة التي رفرفت فوقها اعلام التهود والاحتلال .

« القنباز » .. يرتديه ذلك القروي الملتوح الوجه وقد جاءك من الجيوس — والجيش — او اكزم او الطيرة ، تلك القرى الشهيرة التي نضحت كل ايامها بالصبر والرجولة ، وجالدت على المكاره الذاتية والعربية ومكاره العدو .

العمة الخليلية — التي فتحت من قبل اسواق مصر ودحرت « الرومي » واليوناني والطلياني بذكائها التجاري — وصوت صاحبها الممدود كالسهوب الفلسطينية على امتداد الجبال الوعرة .

هذه هي عمان تمثل ذلك التمازج التوم الصادق والذوبان الاكيد في اطار تلك الشخصية التي سكنت ضفتي النهر المقدس .



دمشق

سوق الحميدية هو دمشق .. فيه التجارة والصناعة والمسجد الاموي وباعة الكتب ، اي العقل السوري والمهارة الثورية مع اكثر معلم من معالم الماضي السوري جزءا من الماضي العربي .

وانت عندما تاتي دمشق لا بد ان تدخل الحميدية حيث تشتبك هذه المعالي وهيبة . يبدو السوق حافلا بكل الرموز التي توضح شخصية دمشق ابتداء من الريفي الذي جاء من حوران بكوفيته التي بلا عقال ووصولا الى قصر العظم تمثيلا لامجاد غبرت للبرجوازية السورية .

هنا « البلورية » و « البرازي » وكل انواع الحلوى ، وهنا السجاد والاقمشة والشرابات وطاولات الزهر المطعمة بالعاج ، هنا الشخصية العربية التي لم ياتها طلاء المدنية الغربية غزيرا كما داهم بيروت والجزائر والمغرب وبعض القاهرة .

وعلى حواشي كل هذا الجنود الذين هم ملح سوريا وخبزها ، فكل شارع تختلط فيه كل الازياء حتى تكاد العين تضيع الا من الزي الكاكي .. ولا يفوتك مع هذا ان ترى المجندة ، — الظاهرة الجديدة التي بدات تظهر في الارض العربية — قميصها كاكي وسروالها كاكي وفوق السروال التنورة وعلى الراس غطاء هو بعض معالم المراة في دمشق حتى الان .

انما لا تنس وانت في سوريا كلها وليس دمشق على وجه الخصوص ان ترى نعمة وغنى وجندا كثيرا ، وتسال فيقال لك ان السنوات تاتي حبالى بالمطر الذي لا ينقطع ، والذي يغذي المحاصيل ، وان المصانع قد باتت كلها ملك الدولة فلا قلة غنية ولا كثرة مسحوقة وان البترول قد تدفق في سوريا وان مخزونها منه — بين عابر ومتفجر — قد تجاوز الـ ... مليون دولار .



صنعاء

نزلت صنعاء قادما من عدن وتعز ... هذه المرة آمنة مطمئنة حلت عليها السكينة والسلام ونضب فيها نهر الدم الحرام من النزف الحرام .

وتهيا لي هذه المرة ان ارى وجهها منفردا وفيه بشاشة وانفراج لم اره من قبل ، وتهيا لي ان امتدادها على السفوح السمراء رخية هادئة ، لا تغضن قسماتها الام الحرب ، ولا تشوه جسدها الندوب ولا يقلق الوداعة فيها هدير المدافع على القمم .

ولهذا عايشت بعض القبائل — هذه المرة — تلك التي لم يتسرب اليها ضوء العصر ورايت كيف لا يخطر ببال « القبلي » ان تكون فلسطين قد ضاعت ، وان يعرف ان مصر وكل العرب قد هزموا وان يكون لم يقص شعره منذ ولد ، وان تكون اظافره مثل الانياب ، وطعامه مثل اي من الذين يعيشون في الفلاة .

ورايت في صنعاء هذه البيوت الشاهقة التي يرتفع فيها البيت الواحد — وليس العمارة — الى علو ثماني طبقات او عشر والتي يسكنها رجل واحد وعائلته وتذكرت ان هذه البيوت هي بقية الحضارة التي غربت ، والتي اشرقت شمسها على اليمن قبل خمسة الاف سنة والتي سبقت وعاصرت حضارة اليمن والتي عرفت بحضارة حميد .

ومع هذه البيوت في صنعاء رايت الجحور التي يسكنها الفقراء في الجبال المتاخمة العصية وجلست مع الجالسين تحت ظلال شجرة القات واكلت من اوراقها اللعينة تلك التي تبعث يقظة غريبة في العقل يعقبها خمود وكسل لا مثيل لهما .

وفي البيوت اليمنية اكلت ارزا مطهوا بحب الهال وبخور الهند ، وشربت ماء مدخنا فيه صندل وعطور ، مثلما اضطررت ان اشرب ماء اخر اسنا فيه رمل واخر موحلا فيه خالط اطفال وبغال واجنحة بعوض .

جلت هذه المرة صنعاء في الفجر وكانت بعد لم تنهض من نومها ، وكانها عذراء تستيقظ من سباتها وظلال احلام طيبة تورق في افقها ، فصنعاء على اية حال خضراء وكروم العنب تعانقها من كل الجهات .

نظرت الى امتدادها على الجبال السود والخضر والنسوة الريفيات قد بدان يدخلنها من التخوم يحملن النعناع والقات والبقول العجفاء .

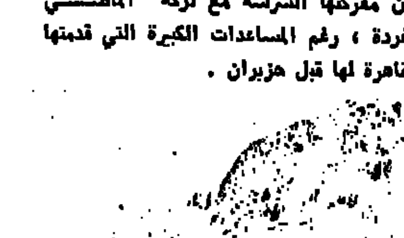
وفي ساحة المدينة كان العلم اليمني يرفرف على سارية وسط الساحة الكبيرة المسماة بساحة عبد الناصر ، وكان طابور عارم من الرجال يقتربون من العلم بصوت هادر حتى اذا وصلوه رفعوا ايديهم تحية ، وكان هذا الطابور من رجال الصاعقة اليمنية التي حرست صنعاء ايام الحروب والتي تدك بارجلها وباصواتها ارض وسماء صنعاء كل صباح كانها تنبه الى وجودها وسطوتها وقوة صلابتها .

وابرز ما في صنعاء سوق الملح ... و « السوق » عندي الصورة الاكثر تمثيلا لروح الوطن ففيه يشهد الوافد — وفي كل وطن — تلك النماذج البشرية الفنية التي تفصح عن نفسها بلا لبس ، والتي تستطيع ان تعطيك الصميم في البيئة الشعبية — التي هي سواد الامة الاعظم .

كانت الجلبة في سوق صنعاء شبيهة بصوت معركة شاهدتها مرة عند مرتفعات الجبال بين الجيش اليمني والمرتزقة حيث امتزج انذاك صخب المتصارعين صوتا وازيزا وهديرا عارما .

وبمجرد ان يدخل الداخل سوق الملح الشهير الكبير في صنعاء يسيل امامه شريط الدكاكين الصغيرة العجيبة .

ولكن صنعاء وسط محنة العرب الراهنة لا تجد كل ما كان يريده الطموح .. صحيح ان اعجب مدارس ستدل على الرغبة الاكيدة في الوصول الى مستقبل افضل — موجودة في صنعاء ومدرسوها في المساء هم موظفو الوزارات في الصباح . ولكن صنعاء تخوض الان معركتها الشرسة مع تركة الماضي منفردة ، رغم المساعدات الكبيرة التي قدمتها القاهرة لها قبل حزيران .



عدن

عندما تاتي عدن قادما اليها من تعز يصيبك احساس غريب وانت العربي الذي قاتلت الاستعمار بكل اشكاله .. تتمنى — بهذا الاحساس — فيما لو جاء الاستعمار صنعاء وكسر قيود التعفن التاريخي الذي ضربه الائمة حول اليمن .. فعدن وهي جزء من اليمن الكبير — على اية حال — قد جاءها الاستعمار فسبقت مدنيا صنعاء بمئة وواحد وثلاثين سنة — وهي عمر الاستعمار على الارض اليمنية الجنوبية .

عمارات شاهقة وشوارع منتظمة وعدد كبير من المثقفين والمتعلمين ، وتجارة رائجة وحياة تحفل بالكثير من مظاهر الجديد الذي هو بعض وجه العالم .

لكن مع هذا فعدن — كما يصنع الاستعمار — متقدمة يوميا فقط لكن الاستعمار لم يحاول ان يضع اقدامها على بداية الطريق الصناعي وجعلها فقط سوقا او اشبه لرجاله ولبضائعه .

يلفتك في عدن قلة وجود الخناجر والاسلحة على الاحزمة فتتذكر مع هذا ان عدن قد سبقت صنعاء بمئة وواحد وثلاثين سنة مدنية ، ويلفتك ان اسواق عدن اغنى الاسواق العربية كلها بما في ذلك سوق بيروت والقاهرة والكويت . فالسوق قد شيدت ليس للمليون مواطن عدني وانما لاكثر من عشرين مليون انسان الذين على التخوم والذين يعبرون عدن عبر البحر الاحمر .



الخرطوم

الذين ذهبوا الى الخرطوم احبوا اهلها وعشقوا بساطتهم وطيبة ضمائرهم ، وتمنوا من الاعماق لو بقيت فطرة القلب وبساطة التفكير هي طابع اهل العواصم العربية مثل اهل الخرطوم .

انها ملجا نفسي للذين افتقدوا في الوطن عنصر الاستقرار وملجا للذين ضاعت منهم الاوطان ، وهي ارض خصبة للعشرة الحميدة ، وللذين يرغبون في الصداقات النادرة التي ترتفع فوق المصلحة والذاتية والانانية .

الخرطوم باختصار شديد ايضا مدينة المعدن الانساني الخارق في طيبته ورجولته ونبل وداده .

ليست مدينة عصرية كما ينبغي للعاصمة ان تكون ..

انها تطل على العصر بخطوة متكاة ولكن ذلك بخلاف رغبة اهلها الذين يمدون رؤوسهم الى فوق والى الامام والذين يرغبون ان يصنعوا خرطوم الغد اروع وافضل ما تكون العاصمة وجها للوطن .

- وهي عاصمة فريدة لانها ثلاث مدن .. او هي عاصمة مثلثة مكونة من ام درمان والخرطوم والخرطوم البحري . وتجد ان مظاهر الالتقاء بين اجنحة العاصمة الموحدة متوفرة ولكن الفوارق واضحة ايضا :

« ام درمان » عروس عربية زنجية لها رائحة عذبة ، واجواؤها مبخرة بالصندل والعنبر ، ومدخنة بكل الطيوب التي عرفتها البادية .

هكذا تبدو اليك وانت تطل عليها مجتازا ... النهر العميق النيل الازرق والنيل الابيض اللذين يلتقيان عند عتباتها الخضراء .

العمامة البيضاء الفارقة على الرؤوس والاثواب الملونة على اجساد النساء والسمرة الداكنة في الوجوه والاسواق الحافلة تغلي بالبشر وتظهر ام درمان وكانها سوق واحدة من اسواق العرب القدامى . تلك التي تميزت بانها مستودع كل الرغبات .

والخرطوم تحاول ان تكون غير « ام درمان » اي انها تحاول ان تصبح مدينة شبيهة بكل المدن العربية وان تخلص من طابعها السوداني المحدد الذي عرفته ام درمان .

وهي مع ذلك ذات طابع لا تخطؤه العين .. اي طابع المدن التي تركت بريطانيا من قبل طابعها على شوارعها وابنيتها وبعض التقاليد منها .

ولكن اذا كان الحب للخرطوم يوجب ان اذكر كل محاسنها فان الانصاف يوجب القول ان نهر النيل فيها هجين ، كانه ما زال يجري في الغابة وكانه لم يدخل المدينة ، وكان الخرطوم لم تحتف بهذا الشريان العظيم كما احتفت مصر .

واما خرطوم بحري فهي مدينة راكدة هادئة قانتة في هدوئها وهذه هي ميزتها بجانب انها لا تحمل ملامح محددة ولذلك فالصمت بحقها اجدى من الكلام عنها .

ينابيع الخلاص

عار الشعوب !

لو تسنى لي ان اقابل بعض الافراد من كل امة او شعب ، وان اسالهم السؤال التالي : ما هو عار الشعوب حسب مفهومك الشخصي ؟ لحصلت على عديد من الاجوبة المتنوعة . ليت شعري ، ماذا يكون جوابك انت شخصيا ؟ ربما لاجابني احدهم ، ان « الضعف والاستسلام » عار كل شعب . ولقال اخر ، ان « الجهل والامية » عار الامم . ولصرخ ثالث ، ان « الكسل والخمول » عار بعض الشعوب . ولندد رابع ، ان « الانانية وحب السيطرة » هي عار الشعوب العظمى . وربما اسمعت اجوبة اخرى كثيرة !

ولكن ، ومع ان ما ذكرناه قد تكون عارا على بعض الشعوب والامم ، سوى ان ولا واحدة منها تشكل العار الاعظم للشعوب . لان الله الاصدق من الجميع يصرح بقوله ان عار الشعوب هو « الخطية » . اجل ، ان الخطيئة هي عار كل شعب وخجل كل امة !

اننا نعيش في ايام تغيرت فيها المقاييس الروحية وتبدلت المستويات الاخلاقية . فكثيرون جعلوا من بعض « القتلة ، المجرمين والمتعطشين الى سفك الدماء البريئة » ابطالا وعمالقة فيما جعل البعض الاخر « الاباحية الجنسية » صنما لهم يخرون امامه ويعبدونه لقد اضحى الناس اليوم يدعون الايمان بالله الجليل « جبنا » ، والسير ضد تيارات هذا العالم القذر « رجعية » ، والاستقامة في الحياة « ضعفا . » ولكن ، بئس مقاييس ومستويات كهذه التي استبدلت مقاييس الله ومستوياته بمقاييس الانسان الساقط !

ان بلداننا العربية العزيزة ، والتي عرفت في تاريخ ماضيها العريق بمحافظتها على الاداب العالية والاخلاق السامية ، قد تبنى بعضها مؤخرا من بعض البلدان المستويات الاخلاقية المنحطة والمقاييس الادبية المتفسخة . او بكلمة اخرى « الاباحية » بشكلها البشع ووجهها الجشع ! والبعض الاخر تبنى من بلدان اخرى « طرق العنف والتعطش الى القتل وكبت الحريات وخنق المسؤوليات الفردية . » وهذان تطرفان بشعان ! وجميع هذه الصفات القبيحة هي ثمة خطايا جشعة تجلب العار الكبير الى الشعوب !

ان بقية الاية التي اقتبسنا منها موضوعنا هي كما يلي : « البر يرفع شان الامة وعار الشعوب الخطية . » سجل الوحي الالهي هذه الكلمات عن لسان احكم رجل عرفه تاريخ البشر ، اي سليمان الحكيم . والبر ، الذي يعني خشية الله وطاعة لنواهيه ، السلوك في طرق الصلاح والفضيلة والخلاص من الخطيئة والرذيلة ، كادان يعدم بين الامم ويتلاشى بين الشعوب . فلا عجب اذا ان شهدنا التفسخ الادبي والانحطاط الخلقي واعمال العنف ، الاغتصاب والقتل ، تتضاعف بشكل مرعب ! ان الصحف والمجلات تكشف الستار يوميا عن عديد من الحوادث البشعة التي يندى لهما الجبين خجلا ويطرق لها الراس حياء ! والامر الذي يحز في قلبي ويؤلمني الى الاعماق هو اننا اسمينا هذه الافات الفتاكة « رقيا » وهذه الاعمال المشينة « تقدمية ! »

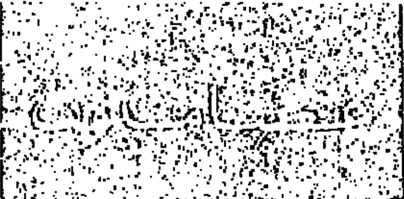
فما العمل والحالة هذه ؟ وكيف نستطيع ان نرد عن شعوبنا العار ؟! انه يستحيل ان يتم ذلك الا عند توبة الفرد ، الذي يشكل عضوا من الشعب ، من خطاياه ، اي تركها ونبذها مرة الى الابد . ثم ان يؤمن ايمانا جريئا بعمل المسيح الكفاري على الصليب حيث سالت دماؤه الثمينة حبا به واكراما للغفران خطاياه ومحو عارها — ايماننا يجعل منه خليقة جديدة ، حيث تموت اعمال الانسان العتيق وتبرز حياة المسيح الطاهرة في قلبه وكيانه . فتنقلب الصورة وتنعكس الاية ويستبدل العار الذي تجلبه الخطيئة ببر المسيح ومجده !

يقول الرسول بولس في رسالة رومية : « واما الان فقد ظهر بر الله ... بر الله بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لانه لا فرق ، اذ الجميع اخطاوا واعوزهم مجد الله ، متبررين مجانا بنعمته ، بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من اجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله . لاظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الايمان بيسوع . » فان كانت الخطيئة هي عار الشعوب ، فبر المسيح يرفع شانها !

فهل انت شخصيا تسبب لشعبك العار ام انك تجلب له الرفعة والافتخار ؟!

كريم خالمو ،
بطلميه ، لبنان .

هكذا صفحة الأصل



١ محمد قره علي : كنت حمّالاً أحمل إلى الناس أثقال الناس

كنت بائع جرائد ، وكان شارل دبّاس يختار مني الصحف قائلاً : سبُك غداً يا محمّد !

كتبت راغدة درغام

●●● من لا تأكل الحياة من لحمه ، ويتصادق مع ضناها ، يكن منفيا سلفا من قاموس جهادها الذي لا يعترف بالكسل والصمت الفاشل .

انها معركة .

انها طريق شاق دام .

العصامي ، هو الانسان الذي وهب صداقة الحياة ورؤيا التحدي العملي : هو رفيق السهر والرغبة التي تفعل المستحيل .

واليوم ، يفتح « الملحق » صفحاته لبعض العصاميين الذين برزوا في الادب والفن معتمدين على عصاميتهم الرائدة .

الحلقة الاولى مع محمد قره علي .

■ « الملحق » ■

●● الوصول بحد ذاته سعادة ، لكن التمرغ في الشقاء يجعل الوصول كوضع الطفل بعد عسر الولادة .

حتى حين تأكل مائت بانتظار ان تشبع ... رغم انك تلتهم الطعام ، فشبح الاكتفاء مخيم في لسانك ، فكيف ان مضغ حلقك لسانك الجاف ؟... اعني ، من تكون من الناس ان اكلت جوعك بانتظار ان تلمس الطعام . ان التحفت مريك على امل ان ينعم جسدك بالدفء القريب . ان شقيت وتشردت وفي ادنى التعب فيك تدنق للوصول الى البيت وامتلاك السرير ، اي انسان انت ؟..

يقولون انك « العصامي » .

وبما أن العصامي انسان انسان ، فانه مبعث فخر في مجتمعه ومثل اعلى لجيل يفتقد الكثير من « العصامية » ، لجيل يقول لك ان تطعمني آكل ، ان تعلمني اذهب الى المدرسة ، ان تطردني إمش في الشوارع ، ان اجع آكل اظافري ، لكن في وضع كوضع بلادنا ، نحن بحاجة الى من يأكل بأصابعه المورمة ، ويطعم من لا يملك الاصابع .

وسلسلة الاحاديث الاتية في « الملاحق » القادمة ، تبغي تعريف القارىء بالعصامية في وجوه عصاميين هم اليوم من طليعة ادبائنا وفنانينا .

والعصامية بحد ذاتها — ان صح القول — نسبية ، لأن طريقة بناء النفس تتقولب مع الشخص نفسه ضمن إطار وضعه . ومن ابرز العصاميين في لبنان ، بل ان من اوائل العصاميين الادباء هو الاديب محمد قره علي .

● في البدء ، وأتي « اليوم » ، يرفض العودة الى الامس قبل المرور به . محمد قره علي اليوم ، من انت ، اعني ماذا تعمل ؟

— اعمل على تحضير مكتبة كبرى بغية زرع الكتاب في البيوت التي تحفل بكل الوان اللوحات الزيتية والستيل وما الى ذلك مما غدا الكتاب الذي يجب ان يحتل مكانه في الرؤوس والصدور قبل سواه . ثم انني اعد الان بضعة كتب لي بعنوان « حياتي » و « سنابل الزمن » و « الضاحكون » شعرا ونثرا ، كما اني اكتب في بعض الصحف . ثم لا تنسي انني اعيش فترة هي اقرب الى الاستجمام والراحة بعد عمل شاق طويل ، على انني ما زلت اميل الى الكفاح والنضال .

اجتماعيا : هناك ٥٠٠ طفل وطفلة من الايتام ، واشرف على تثقيفهم وتعليمهم في مدرسة الجمعية التي لي شرف رئاستها : جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية في بيروت .

جوانب خاصة

● قبل طرح الاسئلة اود ان اذكر ان هذه الاسئلة وضعت لكل من اشترك في هذه السلسلة ولم تحدد لشخص واحد فقط .

● اليوم انت حاضر في مجال الادب والثقافة . قبل هذا الحضور ما هي الخطوات الصعبة التي مررت بها حتى توصلت الى يومك هذا : انسانا واديبا ؟..

— هذا السؤال يكاد يلزمني بان اعرض الى جوانب خاصة ما كنت احب ان اعرض لها لولا انك حملتني عليها حملا . فانا اولا انسان عادي ، واما « أديب » فانا اكاد اشهد الله سبحانه انني لم اصل بعد الى ان ادعي انني اديب ، فانا لم اصل بعد — وهذا بكل صراحة ووضوح — الى درجة القارىء الذي يعي ويدرك ما يقرأ وما تنطوي عليه آراء الناس وافكارهم ، طبعا عنيت اعلام الكلمة والفكر .

تسالينني عن الخطوات الصعبة التي مررت بها .. لا اكتمك بانني ما عرفت خطى الراحة طوال عقدين من السنين .

اولا ... حسبك ان تعرفي انني ولدت غريبا في بلجيكا . وانني في الثانية من عمري فجعت بأمي في ارض الوطن . وانني في السابعة من عمري كنت ابيع الحمص المشوي والترمس المسلوق ، وفي التاسعة كان يثقل ظهري سل من القصب ... أي اني غدوت حمالا احمل الى الناس اثقال الناس . وفي العاشرة انقلب السل الى صندوقة من الخشب لمسح الاحذية ، وفي الحادية عشرة كنت خادما في بعض الافران ، فبائعا للخبز حتى منتصف الليل . وما هي الا اشهر حتى عدت الى عملي الاول حامل سل اسرح وامرح في اسواق الخضار ، هاتفا باعلى صوتي : « معنا سل قاضي ، امرك يا ست » !

وتدور الايام ، فاذا ثقلها ينصب في احجار كان علي نقلها من المقلع الى ظهور الدواب ، وكم لطخت اصابعي بالدم والصديد ، وكم بكت عيناي الالم ، حتى اذا لم اعد اقوى على الاستمرار ، دفعتني الاقدار الى محل بقال ادركت فيه ولاول مرة ضرورة ان اقرأ واكتب . ذلك ان صاحب المحل رفض فكرة الا اعرف الكتابة فعالجها على طريقته الخاصة .

وعدت الى البيت ذات يوم ، فاذا بميدان العمل الحر يدعوني بلسان ابي الى الغوص فيه . وغدوت اذرع شوارع العاصمة بصوتي الداعي : « معنا الاحرار . معنا الاحوال . معنا لسان الحال . الخ » ثم اردف هذه النداءات بهذه النداءات : « اخبار الحوادث اليوم .. معركة مبارح .. صورة اللي ذبح اخته » واحيانا اذ كان للاديب حرمته وللشعر قيمته انادي : « قصيدة جديدة لشوقي .. بيان جديد للمير شكيب .. خطاب للمطران مبارك » . وهكذا قضيت الايام الاول ، حتى اذا ما هتف بي احدهم ، وكان على عجل : « هات الاحرار » قدمتها اليه ، لكنه اعاد الي الجريدة قائلا : « طلبت الاحرار وانت تعطيني الاحوال ؟؟ » ولما بحثت عن الاحرار لادفعها اليه كان قد توارى .

وركضت الى رفيق لي اساله كيف يميز بين الاحرار والاحوال وبين الاوريان واللاسيري .. فاجابني : « الاحرار ، مشيرا بيده الى اسمها ، هؤلاء الاثنان المسحوبان وبينهم هذا (يقصد الراء والالف بينهما) ثم نظر الى الاحوال وقال : « هذا المستدير (يقصد واو الاحوال » هو الذي يميز الاحوال . اما الاوريان بتعرفها من الدائرة التي تشبه الخمسة . واللاسيري فانها هذه « المفرشخة » نزول .

لقد تبين لي ان صاحبي لم يكن اعلم مني بالقراءة ، وان احدهم قد علمه ما علمني ، وهكذا تنتقل مهنة بيع الصحف .

منذ تلك اللحظة قررت ان اقرأ . فذهبت الى رفيق وسألته ان يكتب لي حروف الهجاء ، وفعل . وفجأة رايتني احدق بالحروف ثم ارفع راسي الى الارمات والى عناوين الصحف فاذا بي ، وبكل اعتزاز ، اصل الحرف بالحرف واذا بي اعيش مع الكلمة من الصباح الى الصباح . فاذا اخذتني ثانية من النوم ، كان حلمي الاول والاخير : الحرف . ولم يطل الوقت حتى غدوت احسن قراءة كل اسماء الجرائد . ولم يطل الوقت ايضا حتى استظهرت الانباء وعشرات الصور والايات من القرآن الكريم .

وتمر الايام سراعا لتريني اجلس تحت مصابيح الكهرباء في الليالي المظلمة اقرأ واقرأ لا فرق عندي ان كنت امي او لا امي ، المهم ، انني اعيش الحرف والكتاب والصحيفة والمجلة . وفي حقبة وجيزة لم تتجاوز السنة غدوت نقيبا لباعة الصحف — وعذرا اذا قلت — وخطيبا بين يدي جبران تويني وسعيد صباغه وخليل كسيب وغبريال خباز ورامز سركيس ويوسف مكرزل وغيرهم .

■ محمد قره علي : اطول طريق يبدأ بالخطوة الاولى ■

يجب أن أكتب كلمة

● لماذا كنت تخطب ؟

— كنت اخطب لكي يخفض اصحاب الصحف لنا نحن الباعة اسعار الصحف من ٢٠٠ قرش للمئة عدد الى ١٨٠ .

ولم يطل الوقت ايضا حتى تفجع الامة العربية بفيصل الاول ، فاذا الاقلام والحناجر والقرائح تنطلق ناظمة ناثرة فيكون لي ما قيل فيه زادا لذاكرتي . ويومها قلت : يجب ان اكتب كلمة . فكتبتها ودفعتها الى الاستاذ كاظم الصلح صاحب النداء ، فلم يتمالك ان نشرها لي ولكن بعد ان صوبها ولا اقول اعاد كتابتها . كنت يومها في الرابعة عشرة .

لا تسلي ماذا كان شعوري عندما قرأت اسمي لاول مرة منشورا في صحيفة . كان ذلك شيئا فرحا ورهبا في آن معا . وفي عام ١٩٣٥ يفجع لبنان بوفاة عبقريين من عباقرته : حسن كامل الصباح المخترع الرياضي الكبير وجبران خليل جبران . لهذه المناسبة المؤلمة قرأت الكثير من الادب والرياضيات ومنذ ذلك الحين احببت الادب الى حد التعلق به .

ثم كان لي شرف التعرف الى قسم الادب والشعر ، اذكر منهم : الدكتور محمد حسنين هيكل باشا مؤلف « حياة محمد » و « منزل الوحي » ثم احمد امين وعبدالرحمن عزام وتوفيق الحكيم ، كما كنت قد تعرفت الى امير الشعراء احمد شوقي عام ١٩٢١ وكان برفقته الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وما زلت اذكر كلمة شوقي عندما اقحمت نفسي في مجلسه وحادثته ، اذ قال : « ستكون اديبا يا محمد » . اما لماذا قالها فهذا مما يحتاج الى صفحات .

وفي لبنان كنت قد تعرفت الى الاخطل الصغير وامين نخله وبولس سلامه والشيخ الغلاييني وبدوي الجبل وعمر ابو ريشة من سوريا ، والشرقي والرصافي من العراق ثم اتصلت بادباء المهجر من ابي ماضي والقروي وفرحات الى جورج صيدح وشفيق معلوف وسواهم . واكثر هؤلاء قد كتب عني مشجعا في المهجر وفي الوطن ، ثم كان ما كان مما تطول بنا الاشارة اليه .

اما من الشخصيات الكبيرة ، فلقد مر بي كثير منهم وانا بائع جرائد .. ولا انسى وقوف رئيس الجمهورية يومئذ ، شارل دباس ، وتطلعه الى الصحف لاختيار ما يروق له ، وكثيرا ما كان يقول : « احاسبك غدا يا محمد . » وكذلك كنت ادخل على رئيس الوزراء « اوفست باشا اديب » في غرفته في احد فنادق بيروت .

نهج حياتي

● بعد تجاربك العديدة في الحياة ، منذ كنت فتى حتى اليوم . هل لك ان تقول لنا بعض الاراء « العصامية » التي تكونت لديك ؟...

— اعتقد ان الجواب عن السؤال الاول قد تضمن جواب هذا السؤال ايضا .

● هل انت « مبسوط » لكونك قطعت تلك الطريق أم تصير مبسوطا اكثر لو « حرفت » طريقك بعض الشيء ؟..

— طبعا كلمة « مبسوط » هنا على الطريقة اللبنانية جدا ، وليست على الطريقة العراقية .

• لا اكتمك انني حتى الان ما فكرت ولا احسبني سافكر بانني ساحرف شيئا من نهج حياتي .

لبنان الجديد

● كيف ترى لبنان الجديد من خلال تعبك ، وتعب الذين مثلك ، وتعب الاخرين ايضا ؟..

— اراه بلدا نموذجيا في معطياته الفكرية والادبية لكل عصامي ، ومشجعا ومنطلقا لكل من يريد أن يبني لنفسه بنفسه شريطة ان لا يتكل الا على نفسه . لانه اذا اراد ان يكافأ وان يوفى حقه من مواطنيه فلا احسبه بالغا درجة يطمئن اليها .

أما لبنان الجديد ، فاختلافه عن لبنان الامس واضح كوضوح اختلاف جيلك انت عن الجيل الذي عرفته لثلاثة او اربعة عقود من السنين . وذلك راجع لاختلاف طرق العيش وتفاوتها ، ولذا فاننا نستطيع ان نصل الى نتيجة تتلخص في ان من يزرع في وطنه لا يجب ان يتبرم ان لم يحصد هو بالذات ، اذ ان الاجيال الاتية ستنمو وستزرع بدورها للاخرين . لذلك لا احسب ان التعب والجهد الذي يبذله الانسان في سبيل نفسه وفي سبيل وطنه يستوجب اليأس اذا هو لم ير ، فيما يرى من تعقيد الامور وخاصة على ايدي السياسيين وتجار السياسة ما يجعله ييأس او يتبرم ما دام يصبو الى غاية ارفع ومستقبل اروع . والايام التي نعيشها ستتمخض حتما عن غد افضل ، غد ستبطل فيه شهادة الزور الى الابد .

... فوق ما فعلوا

● بعد التجربة ، هل تفضل لولدك ان يبني حياته مثلما فعلت انت ، أم انك تعمل على تأمين حاجياته على اساس ان هذا واجبك ؟.. ثم ما الفرق في نظرك بين الحالتين ، من النتائج ؟

— اتمنى من كل قلبي ان يكون شعار ولدي :

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل فوق ما فعلوا

وليس كما قال الشاعر : « مثلما فعلوا » .

غاية ما اصبو اليه ان يكون لولدي شخصيته . اذ انني افضل ان يعتمد ولدي على نفسه كليا ، لان في هذا منفعة لوطنه ولنفسه طبعا . وتكون هذه احسن الحالتين .

الصعاب

● اتعتقد ان الصعاب التي واجهتك في طريق جهادك هي نفسها التي ستواجه من سيسير على الطريق نفسها ، أم انها كبرت وتعقدت ؟ واهم الصعاب التي ستواجهه ، عادة ، انسانا يريد أن يبني نفسه بنفسه في لبنان ، هل تستطيع حصرها ؟

— اعتقد انها كبرت وتعقدت اجتماعيا وماديا ، اذ العشرة قروش اليوم لا قيمة لها بينما كانت في الماضي كافية ليوم كامل .

اما من الصعاب فاني استطيع حصرها بشخصية الانسان نفسه مع الاخذ بعين الاعتبار الموانع الاجتماعية وتوابعها . اذ ان عليه اولا ان يعتمد على نفسه ، ومتى اعتمدها تذللت الصعاب لان الصعاب انما يخلقها الانسان بتشاؤمه وبعدم الانسجام مع نفسه وضميره على اني الفتك الى ان بناء النفس ليس بالشيء السهل ، اذ على الانسان ان يتحصن ضد الانهيار والاستسلام والوقوع ، وان يعد نفسه لتحمل الاذى والجوع والالم . فانا اقول لك وبكل صراحة انني مررت بايام طالما انتعلت فيها الدم ، وطالما سمعت فقط ان فلانا قد اكل وشبع . وكم مرت بي اعياد كنت الحافي الوحيد فيها بين اترابي المنتعلين اجود الاحذية . على ان هذا لم يقعدني ابدا عن متابعة طريقي وقتل الصعاب قتلا لا تذليلا ، خاصة وان على من يريد ان يسعى ادراك حقيقة ان اطول طريق يبدأ بالخطوة الاولى . كما وان كل حبل مهما طال فان له طرفين ، ان لم يمسك بالاول فلا يمكن ان ينتهي الى الطرف الثاني .

العصامية والمرأة

● بالنسبة الى المرأة اتؤمن بامرأة عصامية مئة بالمئة ، وما الفرق في نظرك بينها وبين الرجل العصامي من جميع النواحي ؟

— العصامية لا تتجزأ ، اذ ان العصامية كالفكر ، كالنور ليست وقفا على جنس واحد . فالمرأة العصامية ، ربما كان عطاؤها اقرب الى الناس من عطاء الرجل لانها تتحلى بقلب الامومة ولانها تتميز بالرقة والحنان ، ولانه كثيرا ما تكون عصامية الرجل سلبية بالنسبة لجوانب القسوة التي يمتاز بها .

والمرأة العصامية اللبنانية ، بكل ما تحمل كلمة عصامية من معنى ، لا اعرفها .

لا ولا

● ضمن اطار موضوعنا : ما هو الفرق في نظرك بين الانسان العربي والانسان الاجنبي ؟ اسباب وجود الفرق ومميزاته ؟ وطرق القضاء عليه ؟

— العصامية لا تعرف الشرق ولا الغرب ، ولا تعرف بين جنس وجنس ، واذا كان لهما مميزات تختلف بها ، فهي البيئة والنشأة والمحيط والتراث .

« الوفود لا تستطيع أن تغير شيئا ولكن الشعب يستطيع أن يغير كل شيء »

ثورة التعريب في الجزائر

رغم الحصول على الاستقلال السياسي ، ما يزال جوهره ناقصا حتى يتحقق الانتصار للغة العربية انتصارا تاما

●●● منذ استقلال الجزائر في تموز ١٩٦٢ لا تكاد تخلو صحيفة او مجلة وطنية جزائرية من الحديث عن التعريب .. سواء بموضوعات او دراسات او افكار تفيد في تعميمه او حتى بنقد في طريق التطبيق .. كذلك لا تخلو خطب وتصريحات المسؤولين الجزائريين من التاكيد على اعطاء البلاد وجهها الحقيقي باستعادتها للغتها القومية الذي عمل المستعمر طيلة مدة وجوده بالجزائر — ١٣٢ سنة — على محوها من سجلات الوجود ..

والتعريب قضية تأتي في مقدمة القضايا التي خلفها الاستعمار في الجزائر ومن اهم ما يواجه الاستقلال الوطني .. واذا اردنا ان نقدر ذلك تكفينا نظرة فاحصة في الجدول المرفق الذي يبين توزيع الجزائريين بين اللغات العربية والفرنسية والاخرى وبين الامية .

جدول

(١) ٧٤،٦ بالمئة من الشعب الجزائري اي ٥،٩٤١،١٠٠ اميون وبقية المتعلمين ينقسمون على النحو التالي :

(٢)	٥،٥ بالمئة	٣٥٤،٠٠٠ لغة عربية فقط
(٣)	٨،٩ بالمئة	٧١٢،٠٠٠ لغة فرنسية فقط
(٤)	١٠،٦ بالمئة	٨٤١،٠٠٠ لغة فرنسية وعربية
(٥)	٤،٠ بالمئة	٣١٠،٠٠٠ لغات اخرى ..

سيزداد تقديرنا اذا علمنا ان الفئة الثانية التي تتقن اللغة الفرنسية فقط تحتل جميع المراكز الحيوية في الدولة : الادارات على اختلافها . اطارات التعليم العالي .. وان الفئة الثالثة التي تتقن العربية تشتغل بتنشيط الحياة الروحية في البلاد كوعاظ وائمة مساجد ومعلمي قرآن الى جانب الاشتغال بجزء من التعليم الابتدائي .

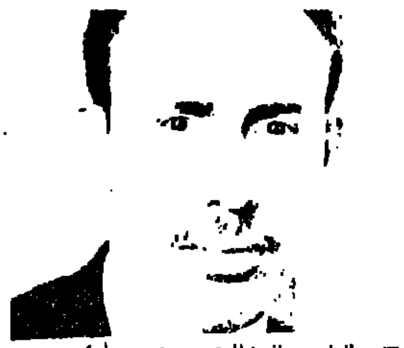
اما الفئة المزدوجة فهي تشكل غالبية النشء في التعليم الجزائري حاليا الى جانب القليل جدا منها موزع بين المجالين السابقين .

الجهود التي بذلت من اجل التعريب

بذلت من اجل التعريب في الجزائر جهود هائلة وعملت طاقات ضخمة ليس في الفترة التي بدأت باستقلال البلاد فقط بل قبل ذلك بكثير .. بل نقدر ان نقول ان الجهود من اجل التعريب بدأت مع المقاومة الاولى للمستعمرين وقد طبعت بطابع سياسي ممزوج بالنضال من اجل الاستقلال في معظم الاحيان .

فما ان وطئت قدم المستعمر ارض البلاد حتى اغلق ما فيها من مدارس كانت تدرس باللغة العربية وطارد معلميها والعلماء ... ويقول الاستاذ توفيق المدني (سفير الجزائر الحالي بالعراق في كتابه : « هذه هي الجزائر ») :

« ان مدينة الجزائر كان بها ثلاثة آلاف كتاب و ١١٢ مسجدا وان المستعمرين اغلقوا هذه الكتاتيب وهدموا هذه المساجد ولذلك يلخص الرئيس الجزائري هواري بومدين هذه المأساة بقوله :



■ الرئيس الجزائري هواري بومدين : قانون عام ١٩٧١ يحسم المشكلة ■

« انه لمعجزة ان تظل العربية موجودة في الجزائر مع عملية الابادة المنظمة تلك وفعلا فهي لم تعد موجودة الا عند حفاظ القرآن الكريم وعند نخبة قليلة جدا حالت دون القضاء الكامل على العربية » .

لقد انشأ الفرنسيون منذ وطئت اقدامهم الجزائر مدارس فرنسية بحتة يبدأ الجزائري فيها دراسته بلغة غير لغة بلاده ولا لغة ابائه وينهي دراسته باللغة ذاتها اذا تيسر له ان يتم دراسته ..

ويقول الدكتور احسان حقي في كتابه : « الجزائر العربية » :

« انه لم يكن في البلاد الجزائرية حتى عام ١٩٤٤ من المدارس ما يكفي عشر اهل البلاد . » او بمعنى آخر ان كل ما كان يوجد من مدارس يكفي اولاد الفرنسيين او المفرنسين وبضعة من الاولاد العرب المحظوظين .

عندما راى الجزائريون ان هذه المدارس ليست في مصلحتهم ولا تضمن حاجتهم الحقيقية رجعوا يطالبون بتعميم العربية واعادتها .. ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء وزعيم حركة الاصلاح الديني انه عندما تذهب الوفود لفرنسا مطالبة بتغيير السياسة الاستعمارية .. « ان الوفود لا تستطيع ان تغير شيئا ولكن الشعب يستطيع ان يغير كل شيء » . وانشاء جمعية العلماء المسلمين عام ١٩٣٠ بالاشتراك مع بعض الائمة المصلحين منهم الشيخ البشير الابراهيمي والطيب العقبي .. وكانت نشأة الجمعية وحركتها اكبر دليل على تحدي العربية للمستعمرين وسياستهم واكبر علامة على رد الفعل العنيف الذي احدثوه منذ بعد . وبدأ بعد ذلك الجزائريون في انشاء المدارس الاهلية لتعليم العربية لينقذوا انفسهم من شرك الجهالة التي نصبه الاستعمار الذي كثيرا ما كان يمنع انشاء مثل هذه المدارس ويسحب التصاريح منها .. وفي الاخير لم تف هذه المدارس الاهلية بحاجة البلاد لان تعليمها كان ناقصا وكانت العربية فيها قاصرة على تعليم اللغة والدين فقط .

خلال حروب التحرير

كان النضال بين العربية والنفوذ الفرنسي يشتد زمن الحروب التحريرية وحركات المقاومة التي كانت تنشب في الجزائر مع اقامة المستعمرين بها .. ويقول محمد الشريف مساعدية (مسؤول التوجيه والاخبار بحزب جبهة التحرير الوطني في خطابه بالملتقى الثقافي في الجزائر) :

« لقد سجلت اللغة الوطنية انتشارا كبيرا خلال مرحلة الكفاح المسلح ولم يكن ذلك مجرد صدفة لان الكفاح المسلح تطور بين احضان التخاطب والتعامل مع الشعب ولم تتوقف الثورة المسلحة او تتعثر في يوم من الايام بسبب اعتمادها على اللغة الوطنية في ميدان الكفاح » .

جهود ما بعد الاستقلال

جاءت الجهود الوطنية بعد استقلال الجزائر من اجل التعريب مكملة لما بذل من قبل فقد اشير اليها في الجزائر .. وجاء في مقدمة اهداف « برنامج طرابلس » التاكيد على العمل لاعادة الكرامة والفاعلية للغة العربية بصفتها التعبير الكامل للقيم الثقافية للجزائر .. لذلك سارعت السلطة الحاكمة الى تعريب السنة الاولى الابتدائية كليا الى جانب مضاعفة ساعات دراسة اللغة العربية بجميع الصفوف .. ثم عربت مادة التربية الوطنية بجميع السنوات الدراسية .. وفي عام ١٩٦٥ عربت السنة الثانية كليا .. وفي مطلع هذا العام الدراسي ١٩٦٩ — ٧٠ عربت السنة الثالثة كليا هي الاخرى .. الى جانب تدريس مواد الجغرافيا والتاريخ والفلسفة في جميع المراحل باللغة العربية .. وفي الجامعة اتخذ مجلسها الاعلى في نهاية العام الدراسي السابق قرارا بتعريب كلية الاداب بجميع فروعها وضم فرع اللغة والاداب الفرنسية الى قسم اللغات والاداب الاجنبية .

بهذه القرارات الهامة تصبح الاداب والعلوم الانسانية بصفة عامة معربة في التعليم الجزائري بجميع مراحله بالاضافة الى عملية التعريب الشاملة المتواصلة في التعليم الابتدائي مع بقاء امكانيات ووسائل التفتح على العلوم والحضارات الانسانية العالمية من غير اي تحيز او اي اعتبار .

قانون ١٩٧١

لم تقتنع الجزائر بكل هذه النتائج فالثورة تعمل من اجل المزيد من التعريب وانصاره متحمسون . وقانون عام ١٩٧١ الذي اعلن عنه منذ اكثر من عام الرئيس هواري بومدين على الابواب وهو يقضي بانه ابتداء من هذا العام لن يتم تعيين موظف جديد ولن يرقى جزائري في مناصب الدولة الا اذا كان يعرف اللغة القومية الى جانب هذا لا ننسى النشاط الذي تقوم به وزارة التربية الوطنية من اجل المساهمة في حملة التعريب بتنظيم مدارسها للدروس الليلية والدورات الدراسية العربية .. وكذلك لا ننسى ما تقوم به جريدتا « الشعب » و « المجاهد » الوطنيتان من دعاية وتاييد للحملة .. وايضا ما تقدمه الاذاعة والتلفزيون الجزائرية من برامج مساعدة ..

الوضع الراهن للصراع اللغوي

من الطبيعي ان ينشب صراع بين كبسل المستعمرين وغير المستعمرين وان لم يكن هذا الصراع ظاهرا فهو خفي ناتج بدافع حب البقاء والتشبث بالمستقبل ..

فالسيد مولد قاسم (مستشار رئيس الحكومة في محاضرة عن « اللغة والشخصية في حياة الامم ») يقول :

« كما ان الذي يفقد شخصيته به الامر الى الذوبان .. فالذي حدث في الجزائر ان الاستقلال وان تعد مئة وثلاثين عاما فقد بقيت اللغة تقاوم مع تسليمنا بانه رغم الحصول على الاستقلال السياسي ما يزال جوهر الاستقلال لم يتحقق الا بالانتصار للغة العربية انتصارا تاما » .

الجزائر — من مراسل « الانوار » : شمسي الفاروق

هكذا في الأصل

الزجل في لبنان ... صحافة الزمن الماضي وفولكلور لبنان الأصيل

كان الزجالون اشبه بالصحفيين يسجلون مشاهداتهم وآراءهم ويهاجمون الحكم اذا ما تحول عن خط التجاوب مع الشعب

●●● يقال في تعريف اللبناني انه ينشد الزجل .
ذلك ان الزجل قديم في لبنان قدم صخور الجبل وسنديانه . لا بل قد يكون لبنان هو البلد الذي ترعرع فيه فن الزجل ونما ، على الرغم من ان هذا الفن هو اشتقاق من الموشحات ، كما يقول ابن رشد ، وعلى الرغم من ان الزجل ابصر النور في الاندلس والمغرب ، وكان أول من ترك ديوانا زجليا هو ابو بكر ابن قزمان الفرساني من اهل قرطبة ، الذي توفي سنة ١١٦٠ م وكانت ازجاله تروى في بغداد مثلها في الاندلس وتتناقلها الالسن في كل مكان .



جوقة الزجل : .. حك جبينك حتى نشوف الليلي شو بيطلع منك

وقد يكون لنمو الزجل في لبنان اكثر من مبرر وسبب اهمها بعد العامة عن اللغة الفصحى وفقدان وسائل الطرب ، ثم انتفاء الاعلام من صحافة ووسائل نقد ، تضاف اليها مناخات الجبل وتوق اللبناني الفطري لانشاد الشعر .

تاريخ الزجل

ومن العودة الى تاريخ الزجل في لبنان نجد انه كان وسيلة طرب ثم وسيلة تعبير ونقد ، ووسيلة تاريخ حدث وبث لواعج في آن واحد .

اذ ان الزجال كان يدعى من منطقة الى منطقة ومن مقاطعة الى اخرى لقول الزجل في المناسبات السعيدة ، التي لم تكن تتم فرحتها الا بوجود « قوال » ينشد الشعر ويطرب الجمهور ، ثم تقوم المنطقة لحضوره ولا تقعد .

كما وان بعضهم اتخذ من الزجل وسيلة لنقد السلطان ، او لتاريخ حدث ، مما جعل الاقدمين يخلفون قصائد نقد وهجو طويلة ، او يؤرخون حدثا كما جاء في زجلية المطران جبرائيل بن بطرس خوريه التي وضعها سنة ١٤٩٠ وسرد فيها حروب المقدمين .

صحفي أيام زمان

وكان اللبنانيون يحفظون تلك الزجليات ويتناقلونها في مجالسهم الخاصة والعامة الى حد ان بعض الزجالين كان اشبه بالصحفي الذي يسجل مشاهداته وآراءه ويهاجم الحكم اذا ما تحول من خط التجاوب مع الشعب .

وما يزال اللبنانيون يتغنون في مقاطعتي الزاوية والجبة ببيتين من الزجل يمدح بهما واضعهما الشيخ ميخائيل بن خلوص الاهدني الذي ولي على المقاطعتين سنة ١٦٩١ وطرد منهما بعض مشايخ الاقطاع الذين كانوا يرهقون الناس بالمظالم .

ومثل تاريخ هذه الاحداث بالازجال المختلفة كثيرة وكثيرة جدا ، حتى ان بعضها تعدى النقد والتاريخ الى حد الملاحم ومن بينها ملحمة يوسف بك كرم المشهورة .

حتى ان الامير فخر الدين المعني نفسه انشد الزجل وما يزال قوله يردد الى اليوم :

وحياة زمزم والنبي المختار
لـ عمرك يا دير من حجر عكار

وكذلك طانيوس شاهين ايضا الذي اعلن الثورة على الاقطاع كما اعلن اول جمهورية في الشرق تحت شعار بيتين من الزجل هما :

هلموني الي بيطار
وابن مكاري بلبادي
بدي محي بسيفي العار
وخلص من شرو بلادي

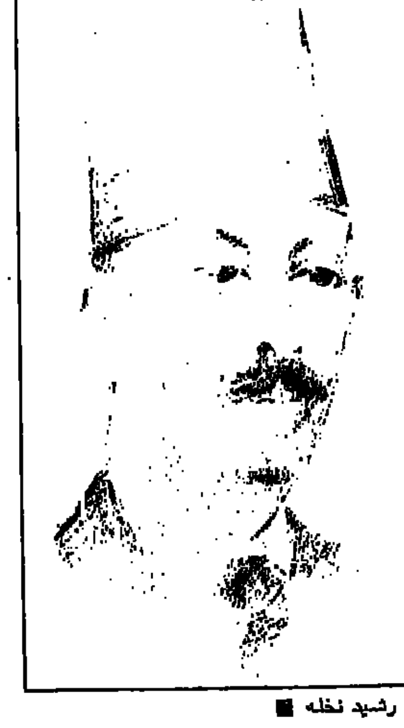
المهم ان الزجالين كانوا يعرفون في الزمن الغابر بـ « القوالة » ، وكان لهم شان كبير في قومهم وعشيرتهم ، ولم يكن اكثرهم يتعاطى اي عمل سوى التاهب والاستعداد الدائم لحضور المناسبات السعيدة التي كانت تستغرق كل منها اسبوعا كاملا ، يتحلق خلالها القوم في العلية الواسعة حول « القوالة » المعاطين بالمرددين ، ثم تبدأ المساجلة بعد ان يكون هؤلاء قد استهلوا المناسبة بمدح اهل المنزل وباغداق التمنيات على الحضور وعلى المعنيين بصورة خاصة .

ولعل ما يجدر ذكره هو الحماس الشديد الذي كان يقابل فيه الجمهور كلام « القوالة » الذين كانوا ينعتون باولاد الذكاء ... تضاف اليه ذاكرة عند بعض ممن سموا بالرواة تساعدهم في كل مرة على حفظ هذه المساجلات عن ظهر قلب وعلى اعادتها كاملة في سهرات طويلة لاحقة .

وأما ميزة « قوال » ذلك الزمان ، فكانت تقوم اول ما تقوم على النباهة وسرعة الخاطر ، تضاف اليهما سهولة في رصف القوافي من قصيد ومعنى وقرادي وموشح . بحيث ان



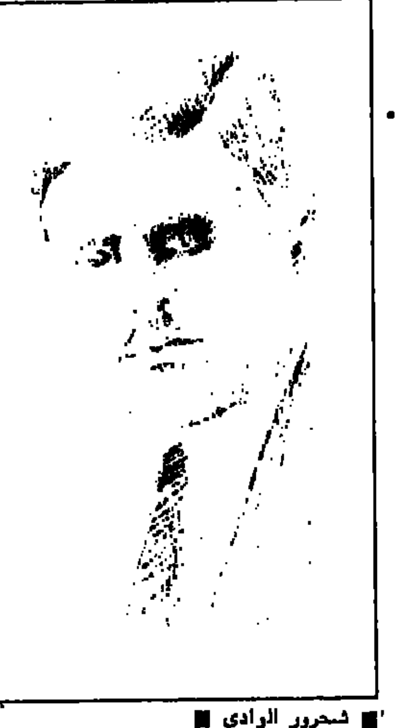
لقطة لاحدى الحفلات الزجلية



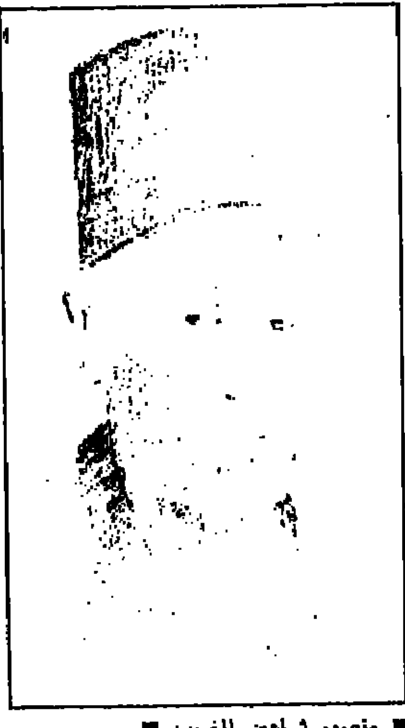
رشيد نخله



عبد الله غانم



شحرور الوادي



منصور شاهين الغريب

بريشة : ديب درغام

المساجلة كانت تعتمد « الخطاب والجواب » ، وهي مساجلات من وحي الساعة والمناسبة يطرب خلالها القوم للجواب المحكم ، الذي ما ان يتفوه به « القوال » حتى يصبح على كل شفة ولسان .

ومثال ذلك ان قوالا استحلى في احدى المناسبات حسناء تلبس الاحمر وكان قد استقدم من خارج البلدة فانشد يقول :

خيولكم هالحمر ما في مثالها
اخذي عقلي بحسن اشكالها
راح فك مهرة وقوم اخدها معي
وان لحقتوني جيبوا بدالها

الأمير فخر الدين قال الزجل وطانيوس شاهين أعلن ثورته على الاقطاع تحت شعار بيتين من الزجل

وقد اجابه زميله من اهل المنطقة على الفور يقول :

خيولنا هالحمر ما في مثالها
وكل مهرة عارفي خيالها
وعندما تشوف الحرامي من بعيد
بتكون لاقتو بجواز نعالها

ثم ان الجبليين ما يزالون يرددون مثل هذه المساجلات الى يومنا الحاضر ويغتبطون لها ، على الرغم من تقادم عهدها وانقضاء الزمن الطويل عليها وهي ازجال تعبر جميعها عن ذكاء اللبناني الفطري وحذاقته ، كما تدل على سرعة خاطره ولباقة التعبير والمرونة في الجواب .

« قوال معنّى »

ومثل هؤلاء « القوالة » الذين احترفوا صناعة الكلام منذ القدم في الانحاء اللبنانية كثر . وقد بلغ من حدة ذكاء بعضهم ما جعل الناس ينعتون الشخص اللبق النابه بـ « قوال معنى » حتى ولو لم يسبق للشخص ان قال بيتا واحدا من المعنى ... وما ذلك الا من باب التدليل على مدى يقظة الشخص ومحبته البالغة في المقارعة والكلام .

وفي سياق الكلام عن مثل هذه الميزة عند « قوالي المعنى » لا بد من ذكر الحادثة التالية ايضا :

كان لاحد القوالين الياس الفران دكان في جسر بيروت وكثيرا ما كان يمر امامه الخوري لويس الفغالي وهو قوال شهير ايضا ووالد شحرور الوادي ، فيستفيد الفران من ذلك ليداعبه .

وصدف مرة ان كان الفران يستمع الى اسطوانة تروي حكاية بعض الحشاشين ، وهم يندبون حمارا ، فنظر الشاعر حوله ، ولمح الخوري لويس قادما ، فلما قاربه استوقفه ليسمعه اسطوانة الندب ، ثم قال له :

يا بونا خليل شمعون
حكيلي بالصدق المضمون
ندابين الفونوغراف
من الوادي يمنا بدادون ؟

فاجابه الخوري لويس على الفور :

حسب معنى ردتكم
تمدننا افادتكم
الندابين من جهتنا
والفقيد من عيلتكم

تحديد المعنى

وكان الخوري لويس الفغالي قد حدد المعنى (يعني الزجل برمته) في كتاب له حول هذا الموضوع جاء فيه قوله : « ان هذا الفن هو حديث مصطلح عليه لا يدخل في أصول اللغة العربية ، فالمعنى لغة بسيطة ، ومتى دخل في أصول اللغة ، ضاع رونقه واصبح كرجل كان لابسا عباءة بيضاء ، وشروالا من الخام المصبوغ ، وفي كل رجل من رجليه ابو الزرين ، وفوق ذلك ، عوضا عن لبادة مناسبة للملبوس المذكور ، وضع على راسه برنيطة من الحريرا المزركش بالقصب الفضي ... ولو اتقن المعنى بالاشعار الزنانة لكان سمي شعرا لا قولا » .

ويقول : « اما لماذا سمي قولا ، فلانه كان فنا محكيا ومغنى بالارتجال ، لا ادبيا مكتوبا ، ولذلك سمي ناظمه بالقوال » .

ثم يروي الخوري لويس الفغالي وصفا لحفلات « القول » التي كانت تقام ايام زمان وللاهمية التي كانت « للقوال » ثم يعرض لاحدى الحفلات التي دعي اليها ذات مرة فيقول : ... سرت قاصدا الى عيناب لاني كنت مدعوا الى هناك من احد الاشراف ، وكان صحبتي من اقربائي واصحابي وابناء منطقتي اربعة وخمسون شابا . ولما بلغنا النزهة المدعوين اليها المعروفة بعين حمانا الكائنة في راس القرية المذكورة ، كدنا نطير فرحا عندما رايناها غاصة بالامراء الفخام والاماجد العظام الذين قابلونا بالترحاب والاكرام واختاروا لجلوسنا اشرح مقام ، ثم جلسنا بغاية الاحتشام . وبينما تمت لنا لوازم الكيف واخذت الدف لكي اشرح ما طرا في ضميري ، تقدم الي جناب الوجيه الافخم الفرد التويني ، وقال : هل لك بافتتاح قولك الان ان تريني بمن ترسم جبل لبنان في عصرنا هذا ؟

وهنا تلا الخوري لويس قصيدة زجلية ، فتقدم منه الوجيه المذكور وخلع عليه ساعة ثمينة من الذهب الخاص . ثم تقدم السيد الياس داغر وطلب ليسمعه قصيدة ، ولما قالها تقدم منه ثانية وخلع من احد اصابعه خاتما من الذهب واهداه اياه .

ان هذا الكلام للخوري لويس الفغالي يوضح مدى ما كان لـ « قوال » في لبنان من اهمية . وقد سلف الخوري لويس وعاصره كذلك « قوالون » عديدون نذكر منهم الطون سعدي وشديد الزرعة ومنصور صافي ومنصور شاهين الغريب والياس الفران وامين ايوب وجرجس بدر ومرشد ناصيف ... وغيرهم كثر ايضا أكان في شوف لبنان أم في متنه وجنوبه وشماله ام في بقاعه وساحله حتى ليكاد يضيق المجال من سرد اسمائهم وظروفهم جميعا .

صورة عن الزجل في لبنان

بيد ان اكثر ما يهمنا هو اعطاء صورة عن الزجل في لبنان ومن اوضاع « القوالة » ومدى اهميتهم عبر تاريخ الوطن اللبناني وتاريخ شعبه .

وقد حدد الخوري لويس الفغالي معالم هذه الصورة فيما كتبه عن الزجالين واوردناه فوق ، اصدق تحديد . وهو واقع زالسنـ

« القوالة » في جبل لبنان منذ زمن سحيق ولم تتف تقاليده الا منذ الحرب العالمية الاولى وما بعد ليعقبه تنظيم الجوقة الذي بداه شحرور الوادي (أسعد الخوري الفغالي) واستمر الى يومنا هذا مع تبديل في جوهر القول والانشاد اللذين تحولا من مبدأ الارتجال ليصبحا مع الجوقات الحاضرة مجرد محاورة تستعد الجوقة لها وتعمل على ترديد كلامها في اكثر من حفلة وربما رددتها في عشرات الحفلات والاماكن المختلفة ايضا .

نخله وغانم

واذا كان اكثر ما يهمنا في سياق الكلام على الزجل اللبناني هو اعطاء صورة من اوضاع « القوالة » ايام زمان ثم توضيح ماهية الزجل الذي كان يعتمد الفطنة في الحوار الارتجالي فلا بد من القول كذلك بان هذا الفن تطور على يد رشيد نخله وعبدالله غانم صاحب ديوان « العندليب » الشهير ، ليصبح شعرا عاميا مكتوبا ، بعد ان كان قولا مرتجلا ، وسجالا يستطيب الناس تحكيم الجواب اكثر مما يتلمسون عبره حس الشاعر وارهافه .

واما هذه المرحلة الجديدة من الشعر العامي المكتوب التي بدات مع رشيد نخله وعبدالله غانم فقد لاقت انصارا كثرا ، ولمت في عبابها العديدين من الشعراء العاميين الذين اعطوا اصدق نتاج وادقه اكان في حقل الوطنية ام في حقل الغزل والهجو القاسي المؤلم المرير .

حتى ان ما قدمه شعراء العامية الى الان ، لا يقل عن الشعر الفصيح ، لا بل يمكن القول انه فاقه حساسية وارهافا وصدقا في الصورة التي ترد على السنة الشعراء العاميين وهي اكثر عفوية واخلص تعبيرا .

ولعل ما كان لرشيد نخله وعبدالله غانم من ثقافة وسعة اطلاع هو ما ساعدهما على الانطلاق في دروب جديدة من الشعر بالنسبة للعامية .

ثم اذا كان يستحيل التبسط بالكلام على مواهب شعراء لبنان العاميين لذلك لان الشعر العامي يستوجب دراسة موسعة وقد نعود الى هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

المهم ان الزجل يكاد يكون الفولكلور الرئيسي في لبنان بدليل انه تندر مصادفة لبناني لا يقول زجلا او هو لا يستطيب سماعه على الاقل ، ومن هنا ما يقال في تعريف اللبناني انه يقول الزجل .

« يرما » لـوركا

(المرأة لا تحب الرجل بل الطفل الذي لا يأتي) ؟

ثاني مَسرَحية ، بَعد « عرس الـدم » في ثلاثية كان يريد أن ينهيها بـ « مأساة بنات لـوط »

●●● « المسرح هو الشعر الذي يسمو نحو الانسانية ، كان في المسرح دائما نبوغي . وقد وهبت المسرح ساعات طويلة من عمري ،

لي مفهوم خاص وصلب بالنسبة للمسرح ، لعندما نكتب المسرحية ، علينا ان نتحدث ونصرخ ، ان نبكي ونياس .

المسرح يفرض على الاشخاص الذين يرتقون خشبته أن يرتدوا ثوب الشعر ، وان يدعونا نرى في الوقت ذاته مظامهم ودماءهم . عليهم ان يكونوا انسانيين الى حد بعيد ، ومأساويين بشناعة ، ومرتبطين الى الحياة والواقع بقوة ، كما لنتبين خياناتهم ، ونفهم معنى لهاثهم ، فتخرج من الشفاه بكل شجاعة كلماتهم ، الملأى بالحب او بالغثيان ... »

هذا ما قاله فيديريكو غارسيا لوركا ، عبقري غرناطة ، في الخامس عشر من كانون الاول عام ١٩٣٤ ، لجريدة « الشمس » في مدريد ، وفي الوقت الذي كانت تستعد فيه العاصمة الاسبانية ، لاستقبال مسرحية « يرما » ...

ويضيف لوركا في مكان آخر ، من المقابلة ذاتها :

ان « يرما » و « عرس الدم » تؤلفان وحدة في ثلاثة مأساوية ، على ان اتمها لتكون وحد لمسرحية كاملة . لكني لم اكتب بعد « مأساة بنات لوط » .

تطور لوركا الفني

الان .. يمكن ان نعتبر ان يرما هي اكثر المسرحيات التي تعبر عن تطور لوركا الفني ، لانه كتبها بعد ان نضجت افكاره المسرحية ، وبعد ان كون مفهوما نهائيا عما يجب ان يكونه المسرح ! وسيلة نعبر بها عن مأساة الحياة ... فنتحدث ، نصرخ ، نبكي ونياس ، وتنطلق من شفاهنا كلمات مليئة بالحب والغضب والغثيان .

وعبقري غرناطة هو الاول ، ويكاد يكون الوحيد بين ادباء اسبانيا ، الذين ساروا في طريق المسرح بحثا ، او تأكيدا للحقائق الحياتية الشعرية ، يدعمون بها مسرحياتهم .

فاكثر ما يستوقف ويؤثر في نتاج لوركا هو هذه المأساوية التي يتبناها .

اكثر ما يستوقف في مسرح لوركا ، هو هذا الطريق الانساني الذي يسير فيه ، ويهدف اليه في كل ما كتب ... هذا الطريق الذي ابتعد عنه الجيل الادبي المعاصر لسلاك غرناطة .. فبرغامين ، او رفائيل البرتي ، وغيرهما ، اختاروا سبلا صعبة للتعبير ، وتنميق الكلمة ، واعطوا في ادبهم مشاهد ثقافية فقط ... وكان حقائق الحياة لا تعنيهم .

الان ...

مقابل هذه الاناشيد الثقافية ، يدهش فيديريكو غارسيا لوركا بهذه المأساوية العميقة التي تميز ادبه ، يدهش بهذا التحليل الرائع للانسان ، يدهش بهذه القدرة العجيبة للتعبير عن تموجات النفس البشرية بين الحب والغضب والحقد والكراهية .

فالحياة بكل ما فيها من فرح وكآبة واسى ، تبقى موضوع ادب الشاعر والمسرحي الكبير .

الكثافة الانسانية ، التي نلتقيها في ادب لوركا ، من نثر وشعر ومسرح ، وان كانت تذكرنا احيانا بمواقف مماثلة في تراث لوبيه دي فيغا — اشهر مسرحي في عصر النهضة الاسبانية — الا انها تبقى نسيجا فريدا من نوعه في كل الاداب الاوروبية ..

خيوط سحرية تاسر القارىء الذي يجالس كتب لوركا الشعرية والنثرية ، لان صدى (الكلمات اللوركية) ينفجر بعنف من اعماقه ، ويهز مشاعره هزا .. فقدرة لوركا للتعبير عن حقائق الحياة الكبرى رهيبة .. مدهشة ... لا توصف ...

من هنا علينا ان نعتبر مسرح لوركا مثل لعبة حياتية .. لا اكثر ولا اقل من ذلك .. لاننا في مسرحياته نرى التسلية لومضة عين ، ثم نلتقي التجهم ، ثم نقف بدهشة مقابل حقائق الحياة الكبرى : الحب والغضب ، والموت ... حتى اننا لا نكاد نتعرف في تلك المسرحيات المأساوية بشناعة ، الى ملامح ذاك الشاعر الطفل « للاغنيات » و « كتاب القصائد » ، لاننا لا نستطيع ان نرى الا ذاك الاديب المدهش حقا باسلوبه الرفيع الذي يرسم به وبدقة وجه الحياة ...

ملامح فردية

ولا بد لي من ان المح هنا ، الى ان مسرح لوركا الانساني ، مليء الى حد بعيد بالملامح الفردية ، والاناشيد الوجدانية ، يطلقها لوركا بعفوية وبساطة في لحظات الانفعال والتوتر .. ولا ادل على ذلك ، من هذه المقطوعة الشعرية الرائعة ، التي يبتدىء بها احد الفصول في مسرحية « يرما » :

في الساقية الباردة
تغسلين شرائطك
مثل ياسمين حار
عندك الضحكة
اتمنى ان اعيش
في تناثر الثلج الطفل
لذاك الياسمين ...

كما انه لا بد لي من الاشارة ، الى تلك الشخصيات التي تظهر على هامش الاحداث في المسرحية ... تظهر خرساء على المسرح ، تظل تغدو وتروح دون ان تتلفظ باية كلمة ، وتعبر عن نفسها بالاشارة فقط ، لترمز الى تشابك الاحداث في المسرحية ، (عرس الدم فتاتان تغدوان في القاعة ، بينما يتحدث العريس مع الخادمة ، قبل ان تهرب العروس مع الرجل المتزوج الذي تحب — مشهد الغسالات في يرما —) .

يرما

في الايام الاخيرة لعام ١٩٣٤ مثلت في مدريد مسرحية لوركا المأساوية : يرما ، وعرفت شهرة واسعة . مثل « عرس الدم » .

ويرما ، هي مثل « عرس الدم » مسرحية شعبية ، تسيطر فيها فكرة الابقاء على النسل ، وممثلها اللامرئي هو هذا الجو الخانق ، وهذه الوشوشات النيورة ، التي تجعل الحياة صعبة في القرى ، وصعبا اكثر التبشير بالفضيلة .

يرما تعيش مأساة عقمها : مأساة تتفرع في اتجاهين : واحد داخلي يرتعش في اعماقها ، لان المرأة تتألم من فراغ احشائها ، والاخر شرس ، يتمثل في تصرفات يرما تجاه زوجها ، الرجل القوي ، الذي لا يركو ... التي تشبع رغباته .

لعبة معقدة للاهواء البشرية ... بين الزوجين ، لان المرأة لا تحب ... وانما تحب اب الطفل الذي لا ... صراع لعواطف متضاربة لا ... قوتين لا تلتقيان في طريق واحد . يرما هي مثال مزدوج ...

تربط بطريقة مطلقة بين الروحي والجسدي ، وبين الجنس والامومة ، ولعله من الفضول هنا ، الملاحظة كيف يرتبط معنى التناسل مع مفاهيم الكنيسة الكاثوليكية ، واحترامها للرباط العائلي ... فان مشهد الحب الزوجي لا يبرره الا الوصول الى الابوة ..

ان يرما مليئة بهذه الفكرة ، وهي تمثل نوعا من الهستيريا النسائية ، التي تهدف ابدا الى الامومة ، وهذا ما يخلق المواقف المأساوية ، ويشكل العقدة في مسرحية لوركا .

ولا بد من القول ، ان المرأة العاقر في الاداب الاوروبية ، تجد حلا لمشكلتها ، عندما تسير في الطريق الذي تعطي فيه لنفسها حرية التصرف بجسدها ، لكن يرما المرأة العقيمة في ادب لوركا ، لا تنسى مفهوم الشرف : رصانة تقليدية ، اقيمت على اسس لا تهدم .

الفصل الثالث

في الفصل الثالث سيكون ليرما موقف قلق ، تكاد تخضع فيه لاهواء احد المراهقين الذين يلاحقونها ، وتصيح اما فيما بعد . لكنها تعرف ما هو واجبها الاخلاقي ، وتعرف ايضا طبيعة الجو المفترس الذي يحيط بها .. فتتراجع عن فعلتها ، وتقهر رغباتها في الامومة ...

لكن لذلك الكبت ، يولد في اعماقها حالة عصبية تنمو ، وتتدافع مع ظروف المسرحية ، لتقرر نهاية المأساة ... فتقتل يرما زوجها وهي تطلق صرخة مروعة .

— لقد قتلت ابني .

يرما : مسرحية صامتة تنمو مع شعور بالقلق النفسي والاضطراب العاطفي ، وبطلها الاساسي هو هذا الجو الخانق ، الذي يسيطر على الممثلين ، يسيرهم ، ويدفعهم دفعا لتصرفاتهم المأساوية ...

يرما : المرأة العاقر ، ترى كل يوم العالم يخصب ، وتشعر بالفراغ في احشائها فقط ، فاعماقها وحدها تبقى ارضا بورا ... ويصبح العالم كله صورا مهزوزة في ناظريها ، فتصبح هي ضد كل شيء في العالم ، الا ما يذكرها بطفلها الذي لا يمكن ان يكون .

يرما : صراع واضح بين الرغبة في الامومة ، وشراسة التقاليد الاجتماعية . معنى الامومة في هذه المسرحية عميق ... عميق بشكل يجعلك تنسى الانوثة نفسها ... يجعلك ترحم المرأة التي اصيبت بنوبة عصبية تدفعها لتقتل زوجها ... الرجل الذي كانت تتصوره قبل وبعد اي شيء ، ابا لطفلها .. ايضا ..

اشعار يرما تنبع من المأساوية ، وهي صورة للحياة القروية الممزوجة بالطبيعة ، فالمقطوعة التي تمجد فيها يرما خصب الارض ، وتأمل ان تنجب ولدا ، رائعة :

لتتحرك اغصان الشمس
وتغني الينابيع حولها ...
ماذا تطلب يا طفل من بعيد ؟
الجبال البيض التي تحملها في صدرك .
متى سيأتي طفلي ؟
متى تعبق رائحة الياسمين من جلده !
لتتحرك اغصان الشمس
وتغني الينابيع حولها ...

شعر اكثر من مؤثر ، تتلفظ به شفتا عبقري ، يغني الحب بطريقة حساسة وحيث تبقى الفكرة الجنسية مختبئة وراء ارتعاش حياتي مرح وفخور ، (اناشيد الغسالات ، وهن يغسلن في النهر) ...

يبقى علي ان اقول ، ان بعض النقاد ، يجد ان نثر يرما ، ينقصه النفس الرصين ، القوي ، المليء بالسيطرة المأساوية ، التي نتعرف اليها عفويا في « عرس الدم » ... وهذا لا يمنع في كل الاحوال ، من ان تبقى يرما في مستوى النتاج الادبي الرائع والاخير الذي اتحفنا به فيديريكو غارسيا لوركا في سنواته الاخيرة ، ولا يمنع من ان نقطع انفاسنا ، ونحن نقرأ او نسمع كيف يتحدث عبقري غرناطة عن مأساة الحياة ... علينا ان نتحدث ونصرخ ، نبكي ونياس ... ونعرف ان الحياة مأساوية بشناعة ، فنلفظ بكل « شجاعة الكلمات الملأى بالحب والغضب والغثيان » ...

■ نرجس عطية

■ علي بن عياد : مخرج المسرحية ■

« يرما » وزير السياحة : مسرحية موفقة ... كان لها وقعها في نفسي

بقلم : حافظ محفوظ

●● بعد ان شاهدت مسرحية «يرما» التي قدمتها فرقة بلدية تونس ، بقيادة علي بن عياد ، على مسرح مهرجانات بعلبك ، في القنطاري ، تاكدت لي اصالة النهضة المسرحية المعاصرة في تونس .

الفرقة

سمعت كثيرا عن هذه الفرقة الطليعية المكافحة ، اذ سبقتها الى بيروت شهرتها العريضة . فهي اول الفرق المسرحية المحترفة في الجمهورية التونسية ، كان لها شرف تمثيل بلادها في مهرجانات دولية مختلفة ، وجابت عواصم بلدان المغرب العربي ، وعرفت بالمسرح التونسي في باريس ، وقدمت على خشبة مسرح الامم مسرحيات « كاليغولا » — رائعة البير كامو — و « العين بالعين » ، و « مراد الثالث » .

وعنايتها بالمسرح العالمي ، لم تصرفها عن الاهتمام بالانتاج العربي الخالص ، فقدمت « اهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، و « مجنون ليلى » لشوقي . ورسالة الفرقة ، كما رسم خطوطها بن عياد ، « هي ان نبرهن اننا قادرون على بلوغ مستوى الانسانية الفاضلة بسحر اللفظ ووسامة المعنى والجمال الخلاب الذي يسدله المسرح على ما يعرضه علينا ، زيادة على التغني باسلافنا ، كما ينصح بذلك الكاتب الفرنسي « كوكتو » .

ومما تقدر عليه الفرقة ، ما بذلته من جهود كبيرة في سبيل توفير العنصر النسائي الذي كان في الماضي — بسبب قلته — من العقبات التي شلت الحركة المسرحية التونسية والعربية على السواء .

قصة « يرما »

« يرما » من تاليف الكاتب الاسباني فيديريكو غارسيا لوركا ، وضعها عام ١٩٣٤ ، وترجمها الى العربية عز الدين القرواشي وتوليسق ماشور منذ سنتين . كان « خوان » رجلا غليظا ، منصرفا الى اشغال الفلاحة والحقل ، دون أن يكترث بزوجته « يرما » ، فاستولى عليها الحزن لانها لم ترزق ولدا ، وتحول هذا الحزن الى خجل وثورة ، وانصب تفكيرها في جميع الوسائل التي يمكن ان تنقذها من الحرمان .

وهيأ لصالح ملحة من احدى العجائز ، قبلت « يرما » ان تذهب الى حج النساء العواقر حيث يتوافد الرجال . وهناك التقت بالعجوز ، فافهمتها ان الرحمة التي تنشدها في ليلة الحج يمنحها الرجال ، ولا تاتي على ايدي القديسين كما يتوهم السذج .

وزينت العجوز « ليرما » الفرار مع ولدها مؤكدة انها الوسيلة الوحيدة لانجاب البنين ، فثارت « يرما » الحريصة على شرفها وفضلت انتظار الفرج من زوجها وحده .

وكان « خوان » هناك يرقبها ، فتقدم نحوها فجاة ، وطوقها بذراعيه وهم بتقبيلها ، فسالته عما يبحث في هذا المكان ، فاجابها « ابحث عنك وحدك » .

فعلمت اذ ذاك انها فقدت كل شيء ، وان زوجها لا يرى فيها الا نمية للمتعة ولا ينوي تحقيق حلمها ، فاصابتها نوبة جنونية ، وانشبت اصابعها في رقبة زوجها بكل قواها حتى مات . ثم اخذت تجهش وتصيح : « بيدي قتلت ولدي » .

حول المسرحية

التمثيل يمد يده لتلبس قمة الروعة ، فتقمص الادوار كان ناجحا حتى الاثارة ، فلم يتنكب ممثل واحد ، رغم كثرة الممثلين ، عن تجسيد حيوية الاداء وواقعيته . نرجس عطية ، كانت « يرما » التي ارادها « لوركا » في قصته . وعلي بن عياد ، رائد الفرقة ودمائها ، كان مدهشا في دور « خوان » . وتالقت الممثلات الجميلات وفاء سالم وزكية الخلصي ومنى نور الدين . ولفت المنصف الدريسي انظار الجمهور في دور الراعي الرقيق العاطفة القوي البنية .

الشقيقتان العانستان ، اجادتا ، في تمثيلهما بقسمات الوجه ، ورشاقة حركتهما ، ولو لم تنطقا حرفا .

الاخراج كان بديعا ، ومشهد الحسناوات يطلن في الليل على ضوء الشموع ، شاعري يبعث الكثير من الوحي والمعاني . التصرف في الترجمة كان لصالح المسرحية ، والشعر الذي تسيل فيه العذوبة والرقة ، وتميس في تموجاته عبر الالقاء المعبر عرائس الحسن ، كان يتخطر في جو القاعة ليفرض نفسه على الاذان ، وليثبت ، من جديد ، انه سيد الفنون في كل مكان وزمان . الموضوع ، كما روت القصة ، يتناول قضية اجتماعية حساسة ، ينبغي معالجتها على ضوء المنطق السليم لا الهوس الاهوج والانحراف المزاجي المتقلب ، حتى لا تؤول النتيجة الى جريمة تنحر السعادة كما حدث مع بطلي المسرحية .

البنون من ضرورات الزواج ، وعلى الراغبين بتاسيس هذه « الشركة المساهمة الخطيرة » ان يتفاهموا حول هذه المسالة تفاهما دقيقا قبل ان يقدموا على الانضواء تحت راية الرباط المقدس . « يرما » واحدة من روائع فرقة بلدية تونس ، لم اشعر بمرور الوقت خلال عرضها ، فهي لطيفة مستساغة كليلة حب ، او قصيدة شاعر ، ومضمخة بالعطر كقارورة طيب .

رأي وزير السياحة

سالت الوزير خانشيك بابيكيان ، رايه في المسرحية ، وهو الذي رعى وحضر حفلة افتتاحها ، فاجاب :

انها حدث في تاريخ المسرحية العربية ، نحن بحاجة لان نستقرض شيئا من روائع المسرح الاجنبي ، خاصة المستوحى من العادات والتقاليد العربية ، فاسبانيا — موطن مؤلف « يرما » — تدين للتراث العربي .

هنالك تشابه بين اوضاع البلدان العربية ، وبين بعض البلدان الاوروبية كاسبانيا ، من الناحية الاقتصادية ، اذ هي جميعها في طور الاقتصاد الزراعي .

كان للمسرحية وقعها في نفسي ، وانني اعتبرها موفقة . الاخراج يعبر عن مكاسب المسرح الحديث ، اللغة ممتازة ، في التعبير اقلاع عن عادات بعض المؤلفين في الاسهاب ، حتى جاء مختصرا مفيدا ، ومن هنا قيمته .

وعندما سالته المقارنة بين الفرقة التونسية وبين فرقنا ، قال :

عندنا في لبنان ، فرق توازيها ، والمسرح اللبناني شهد عطاءات سخية ، اذكر منها ، على سبيل المثال لا الحصر ، مسرحية جلال خوري عن فلسطين . وانه من المنفعة المشتركة بالتاكيد التقارب والتقارن بين المسرح اللبناني والمسارح المستوردة . هناك اوجه مختلفة ولكن الفن واحد .



■ خانشيك بابيكيان : المسرح اللبناني شهد عطاءات سخية ■

هكذا نص الأصل

سينما مسرح تلفزيون

« كفاح حتى التحرير » فيلم يترجم البلاغات الحربية فقط !

●● شاهدت هذا الاسبوع فيلم « كفاح حتى التحرير » للمخرج الاردني عبد الوهاب الهندي (٢٤ سنة) ، خريج معهد السينما بالقاهرة .

واول تعليق يمكن ان يقال عن هذا الفيلم انه رديء .. رديء .. ثم رديء .

فالسينما كما يعرف الجميع لم تعد مجرد لهو يزجي به الناس اوقات الفراغ ، ولا وسيلة يشبع بعض الذين يظنون انفسهم سينمائيين بواسطتها هواياتهم ..

لقد اصبحت السينما في هذه الايام قادرة على ان ترتفع بالصوت الانساني ، تئن بانينه ، وتهتف بآماله ، وتحمل صرخاته الى العالم .

وعصب سينما اليوم هو الفكر ، ولا يمكن ان توجد سينما بدون فكر يحتوي الصورة التي تحمله وتشع به وتعطيه الاعماق المطلوبة ..

والفكر السينمائي لا ينبت « بالعافية » ، ولا حتى بمحاولات الافراد ، انه يحتاج الى ارض خصبة ، والى جهد وعرق . والثقافة السينمائية هي هذه الأرض الخصبة .

لقد ادركت اسرائيل خطورة هذا السلاح مذ اخرج المخرج الفرنسي الان رينيه فيلم « ليل .. وضباب » عام ١٩٥٦ ، وهذا الفيلم كان يتحدث عن حرق اليهود بالجملة في المانيا النازية ، وقد جمع رينيه مشاهد فيلمه الوثائقي هذا من ارشيف السينما الالمانية ، وكانت تبين اغتيال اليهود في معتقلات بولونيا، والمانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وعلق الاديب الفرنسي الكبير جان كيرول على تلك المشاهد باسلوب بارع ومؤثر ، وتحدثنا عن الستة ملايين يهودي الذين لاقوا حتفهم على ايدي النازيين .

وليكثف رينيه تأثير فيلمه على الرأي العام العالمي كلف الموسيقي هانس ايسلر بتأليف الموسيقى التصويرية له .

وعندما ظهر هذا الفيلم كتب عنه النقاد العالميون امثال جاك دانيول فالكروز الذي تحول الان الى مخرج :

— ان هذا الفيلم يتخطى النقد ، فالصور التي توالت امامنا هي عبارة عن نشيد جنائزي يدعو الى الاحترام ، والصمت ، واذا ما حاول احد ان يعكر صفو هذا الصمت فان عمله يكون انتهاكا لحرمة شيء مقدس .

هذا ما قاله الناقد الفرنسي فالكروز بعد ان شاهد «ليل ... وضباب» ، وقد حذا حذوه جميع نقاد العالم لان هذا الفيلم الوثائقي لم يكن يحتوي على قصة ، ولا وعظ ، ولا شعارات ، بل كان مجرد سينما حقيقية عكس رينيه فيها بواسطة الصورة قصة اليهود في المانيا النازية ..

والسينما الجزائرية نزلت بدورها الى ميدان المعركة مع الطلقة الاولى ، ولقد صورت الافلام الاولى بامكانيات متواضعة جدا، ومن بين هذه الافلام « جزائرنا » الذي يتحدث عن المجاهدين اثناء القتال و « ياسمينا » ، الذي يصور هجرة اللاجئين الذين طردهم المستعمر من ارضهم ، و « بنادق الحرية » ، ثم اكثر من ثلاثين فيلما تسجيليا للمخرج محمد الاخضر حامينا .

ثم كان بعد ذلك « معركة الجزائر » ، و « رياح الاوراس » و « الليل يخاف الشمس » وغيرها .

وهكذا نجد ان السينما الجزائرية انتجت افلاما على مستوى لائق بتاريخ نضال الشعب وتاريخه وكفاحه .

اما نحن في هذه المنطقة فاننا لم نر بعد فيلما واحدا اذا استثنينا « كلنا فدائيون » يرتفع الى مستوى يليق بالكفاح الفلسطيني ، كل ما هنالك اننا سمعنا بان فيلما وثائقيا انتجته الجمهورية العربية المتحدة عنوانه « داخل الارض المحتلة » ، وان هذا الفيلم عرض في المهرجان السنوي الذي اقامته جمهورية المانيا الديمقراطية للافلام التسجيلية القصيرة، وانه عبارة عن صور التقطتها وكالات الانباء العالمية ، وهو يحكي قصة التعذيب الذي يلاقيه العرب في الارض المحتلة .

لكننا حتى الان لم نشاهد الفيلم المذكور ، ولا علمنا بوجوده الا بواسطة خبر صغير ظهر في احدى المجلات .

كما علمنا ايضا بان منظمة « فتح » قررت ان توزع الفيلم الباكستاني « الزرقا » الذي اخرجه المخرج الباكستاني رياض شهيد وقد اقدمت المنظمة على توزيع هذا الفيلم لانه لا يوجد حتى الان فيلم عربي جدير بان يمثل الكفاح الفلسطيني على حقيقته وبابعاده الانسانية ، ويعرض وجهة نظر هذا الشعب بطريقة علمية وموضوعية .

ان فيلم « كفاح حتى التحرير » فقير بكل شيء : فكريا وتقنيا . وهو خال من البحث والروح الدرامية الاصيلة .

نحن لا نشك مطلقا في ثورية الذين حققوه انتاجا واخراجا وتمثيلا ، غير ان مخرجه عبد الوهاب الهندي يجهل بلا ريب ابسط قواعد السينما الحديثة ، ولقد كان من الاجدر به ان يشاهد لا اقل من خمسين فيلما نضاليا قبل كتابة سيناريو فيلمه ، وباستطاعته ان يشاهد مثل هذه الافلام في المكتبات السينمائية الروسية، والفرنسية ، والجزائرية والنرويجية وكلها عامرة بافلام الكفاح المسلح وحروب التحرير ، وبواسطتها يغذي معلوماته وتتسع افكاره ومداركه ، ويدرس طريقة اخراج مثل هذه المواضيع الهامة على الشاشة .

ان الاخطاء التي احتواها فيلم « كفاح حتى التحرير » دلت بوضوح على ان هذا المخرج يجهل دون شك حتى ابجدية السينما ، وانه اعتمد على الشعارات والصور الثابتة التي احتوتها مقدمة الفيلم ، وكلها تلهب حماس المتفرج العادي ، لكنها كلها اشياء مادية لا قيمة فنية لها وليس لها هدف معين الا ترجمة البلاغات الحربية التي صور .

أفلام الاسبوع

الحرب مشتعلة بين الجواسيس ... وأمور القلب لها مجال رئيسي



■ سعاد حسني في فيلم « ناديه » ■

« مجانين نيسان »

(اخراج : ستيوارت روزنبرغ)

(تمثيل : جاك لامون ، كاترين دونوف ، بيتر لاوفورد)

(الصالة : الحمرا — روكسي)

— تعرف بروباكر الشاب الذي يعمل سمسارا في احدى الشركات الى كاترين المرأة الساحرة الجمال ، وذلك في الحفلة التي دعاه اليها رئيسه الجديد .

لقد بدت كاترين في تلك الحفلة متضجرة ، مما جعل بروباكر يدعوها الى العشاء في ناد ليلي ، وبالطبع كان لا يعلم ان تلك المرأة هي زوجة رئيسه ..

وافضت كاترين للشاب بانها عازمة على ترك زوجها والعودة الى العيش في باريس .

وشعر بروباكر بميل شديد نحو تلك المرأة الحسناء التي اظهرت بانها تبادله نفس الشعور .

وعلى اثر ذلك قرر بروباكر ان يطلق زوجته ويترك لها ابنه ليلحق بامرأة احلامه الى باريس حيث يتزوجها .

غير ان تنفيذ مثل هذا القرار الخطير لم يكن سهلا ، لقد اعترضت سبيل العاشق الولهان متاعب عديدة حالت دون بلوغ اهدافه ، لكنه تمكن في النهاية من اللحاق بكاترين الى الطائرة التي كانت ستقلها الى باريس .

لم يتوصل ستيوارت روزنبرغ مخرج هذا الفيلم الى اختيار الاتجاه الذي يسلكه لمعالجة القصة ، كما راينا المشاهد الكوميدية تتعاقب الواحدة تلو الاخرى وهي خليط عجيب من المواقف المضحكة ، والمواقف الرومانطيقية القديمة .

اما الناحية التقنية كالتصوير والاضاءة وما شابه ذلك فهي متقنة بصورة تلفت النظر .

غير ان الانتقادات الاجتماعية كانت باهتة ولم تترك لدى المتفرج اي تأثير لافتقار الاخراج الى وحدة الاسلوب .

وكانت كاترين دونوف في هذا الفيلم باردة باهتة وبليدة ، بينما كان جاك لامون ديناميكيا متحركا ومؤثرا على الرغم من انه ظهر في بعض الاحيان مبالغا في حركاته وكأنه رسم كاريكاتوري ...

(التقدير : وسط)

« ناديه »

(اخراج : احمد بدرخان)

(تمثيل : سعاد حسني ، احمد مظهر ، نور الشريف)

(الصالة : متروبول)

— يبدو ان سعاد حسني بدأت في الآونة الاخيرة تتعاون مع السينما بمنطق جديد ، لقد اصبحت تختار ادوارها بعناية خاصة ، وقد رأينا لها هذا الموسم فيلم « شيء من العذاب » وكانت فيه ممثلة هذه المرة لا عارضة ازياء ، ومفاتن ، وابتسامات مفبركة .

وفيلم سعاد الثاني الذي سيعرض علينا هذا الاسبوع هو « ناديه » ، قصة يوسف السباعي ، وآخر ما اخرجه المرحوم احمد بدرخان .

مثلت سعاد في هذا الفيلم دورين هما التوأم نادية ومنى ، وكلتا الشخصيتين على طرفي نقيض .

ناديه هادئة رصينة ومتزنة ، تكاد لشدة اتزانها تصبح منطوية عن الناس والعالم .

ومنى مرحة ضاحكة لا تترك لحظة الا وتدفع نفسها فيها الى زحام الحياة .

اما فيما يتعلق بأمور القلب فان ناديه فتاة وقور تلمس لعواطفها الطريق في حذر وحياء ، بينما تنطلق منى لاهية ضاحكة في غمار الحياة كأنها تريد ان تمرح بحبها فوق السطوح ..

هذا الدور المزدوج بالطبع صعب جدا ، وقد كانت سعاد وهي تمثل بحاجة الى كل لحظة من وعيها الفني ، فبذلت اقصى ما تملك من موهبة لتؤدي كل شخصية منهما ضمن النطاق الذي رسمه يوسف السباعي في قصته .

وقد يبدو من السهل على فنانة ان تقف امام الكاميرا وتظهر مرة كناديه ، ومرة كمنى، ولكن كيف يحدث عندما تلتقي الشقيقتان معا ، بل كيف يمكن ان تقبل سعاد حسني لنفسها عندما تلتقي الشقيقتان بعد غيبة ؟

لقد كانت سعاد فعلا في تجربة صعبة تطلبت استنفار كل مواهبها . ومن هنا ظهرت براعتها في أداء الدور ومثلته بكل صدق واخلاص ، وهي التي شدت المتفرجين الى مقاعدهم لمتابعة مشاهدة الفيلم .

وفيما يلي ننقل بعض اراء النقاد المصريين في هذا الفيلم :

كتب الناقد ضياء الدين بيبرس عن ناديه في احدى المجلات المصرية قال فيه :

القصة الاصلية لفيلم « ناديه » كما كتبها يوسف السباعي هي معزوفة رائعة من نوع الميلودي وتسير داخل جو شاعري حزين ، لكنه حزن يستبعده الكبرياء ، واحمد بدرخان كان شاعرا شامخا وراء الكاميرا ، ولكن ٩٠ بالمئة من زمن قصيدة بدرخان جاء مقدمة غزلية تشبه اعمال شعراء العرب القدامى ، والباقي كله بكاء على المقابر والاطلال . وعندما جاء وقت الدخول في صلب الموضوع انتهت القصيدة فجأة !

وكتب الناقد محمد جلال حول نفس الموضوع مقالا جاء فيه :

ان اسوأ ما في فيلم « ناديه » هي القصة الميلودرامية ، فقد احتوى هذا الفيلم على الفواجع التالية : تشويه فتاة في عمر الزهور بنيران الاسياخ ، موت رجل ، موت شاب ، موت فتاة في ريعان شبابها ببلد غريب ، عملية انتحار لم تتم .. ثم انتحار القصة والحوار .

هذه مقتطفات من بعض مقالات النقاد المصريين حول آخر افلام احمد بدرخان ، والذي يعتبر بالرغم من كل شيء عملا فيه اتقان واجتهاد بارزان .

(التقدير بالنسبة للافلام العربية : جيد)

« الاسد في الشتاء »

(اخراج : انتوني هارفي)

(تمثيل : كاترين هيبورن ، بيتر اوتول)

(الصالة : دنيا — ستراند)

— قصة تاريخية تجري حوادثها في البلاط البريطاني عام ١١٨٣ ، وكان الملك هنري الثاني متزوجا من اليانور اكويتاين وهي امرأة رائعة وغريبة ، وقد حدث خلاف في الاسرة المالكة حول من سيكون ولي العهد من بين اولاد الملك الثلاثة .

نال هذا الفيلم في العام الماضي ثلاثة جوائز اوسكار ويعتبر من افضل الافلام التي سنراها هذا الموسم .

(التقدير : جيد جدا)



■ كاترين دونوف وجاك لامون في فيلم « مجانين نيسان » ■

« حرب الجواسيس »

(اخراج : فرانك بيرسون)

(تمثيل : كريستوفر جونس ، بيا داجلمارك)

(الصالة : امبير — اديسون)

— كتب قصة هذا الفيلم جان لوكاريه الذي رأينا له من قبل « الجاسوس الذي جاء من بلاد الصقيع » .

الموضوع يتحدث عن عميل استخبارات اوفدته منظمة الانتلجانس سرفيس الى المانيا للاطلاع على الصواريخ السوفياتية التي وضعها الروس هناك . وبعد مغامرات عديدة تنتهي القصة بمقتل العميل .

(التقدير ؟)

« ٣ بـ ٢ ، أمر مستحيل »

(اخراج : بيتر هول)

(تمثيل : رود شتايغر ، كلير بلوم)

(الصالة : الاتوال)

— كان رود شتايغر رجل اعمال ، وكان مضطرا لان يقضي اوقاته متنقلا بين المدن ، وهذا ما جعل زواجه من كلير بلوم غير موفق . ومما زاد الامور تعقيدا هو ان زواجه لم يثمر عن ذرية ، واعتاد شتايغر ان يلتقط من الطرقات الفتيات ويصحبهن معه ، وفي احدى المرات جرت له حادثة مع فتاة جاءت الى منزله وادعت انها حامل .

ان قوة هذا الفيلم تكمن في ابراز ما للتفاهم الزوجي من حسنات ، وما للحوار بين الزوج والزوجة من فوائد .

غير ان المزج بين المواقف الكوميدية ومواقف الجنس جاء غير مقنع ، كما ان الفيلم يحتوي على بعض المشاهد الطويلة التي كان يمكن اختصارها .

(التقدير : وسط)

● ابو سليم .. في حلقته الاخيرة بدأ في « مناقشة » الحكومة ، وقد ضمن الحلقة المذكورة وخزات سياسية ذكية .. برافو .

● فريال كريم .. المونولوجست « الخفيفة » التي قدمت منذ اسبوعين برنامج المنوعات الشرقية ، واثناء التقديم « روكبت » معها لغة الكلام عدة مرات ، مما اضطرها الى انهاء الموقف « بنكشيرة » ..

● بديعة فتح الله جنبلاط .. لماذا لا يستغل التلفزيون مواهبها ، انها سيدة مجتمع ، ومثقفة ، ومذيعة عريقة ، وصاحبة نكتة عفوية ، ووجه صبوح .

● علي بن عياد ... في اخراجه لمسرحية « يرما » التي مثلتها الفرقة التونسية في الاسبوع الماضي عندنا ، استعرض عضلاته ولم ينقصه الا ان يضع على صدره لافتة كتب عليها « والله العظيم انا مخرج » !

● حسن يوسف ... الممثل السينمائي بعد ان ضاقت به السينما اتجه الى المسرح ، وسيأتي الى بيروت ليقدم بالاشتراك مع زوجته لبلبة مسرحيات فكاهية .

● هند رستم ... هي ايضا انضمت الى رعيل المسرح واختارت فرقة الريحاني لتمارس فيها عملها الجديد . وهند ستزورنا ايضا مع فرقة الريحاني لتشترك في عدة مسرحيات يجري تقديمها بصالة الكابيتول . اما الزمان فقد تحدد مبدئيا خلال شهر نيسان المقبل ، هذا اذا لم تغير هند رأيها حتى ذلك الحين .

● نضال الاشقر .. وروجيه عساف فاوضا الممثلة الكبيرة سناء جميل لتشترك معهما في المسرحية الانتقادية السياسية الجديدة التي يعتزمان تقديمها على مسرح بيروت في الشهر المقبل ، وقد وافقت سناء على رغبة الثنائي عساف — الاشقر وستأتي الى بيروت خلال هذا الاسبوع لعمل البروفات .

برافو روجيه ...



● مارسيل مارسو ... الممثل الايمائي الفرنسي الشهير تجري مفاوضات بينه وبين احد المتعهدين اللبنانيين ليقدم خلال شهر تشرين الثاني المقبل على مسرح كازينو لبنان مسرحيته التي يقدمها بمفرده على المسرح ، والتي تستمر زهاء ساعتين وسترافقه في رحلته هذه الممثلة ماري لاتوريه لتظهر بين فصول الرواية وتسلي الجمهور بينما يكون مارسو يستريح ويستعد للفصل التالي .



● فيروز ... ستقوم ببطولة فيلم جديد خلال العام الحالي . هذا ما اكده زوجها عاصي الرحباني .

● جان يان .. الممثل الفرنسي بطل فيلم « ابروتيسيمو » الذي يعرض حاليا على شاشتنا ، نال مؤخرا جائزة فولوا لعام ١٩٦٩ من اجل الكتاب الذي الفه وعنوانه « الكركدان لا يمر من هنا » .

● سعاد حسني .. مثلت في فيلم « ناديه » دورين ، ومثلت بعد ذلك في فيلم « لا تتزوج ارملة » دورين ايضا ، يضاف اليهما اربعة افلام مثلتها هذا الموسم . وبهذه الطريقة يمكننا ان نمتع انظارنا بفساتين ومفاتن سعاد عشر مرات في ستة افلام .. يحيا النشاط !

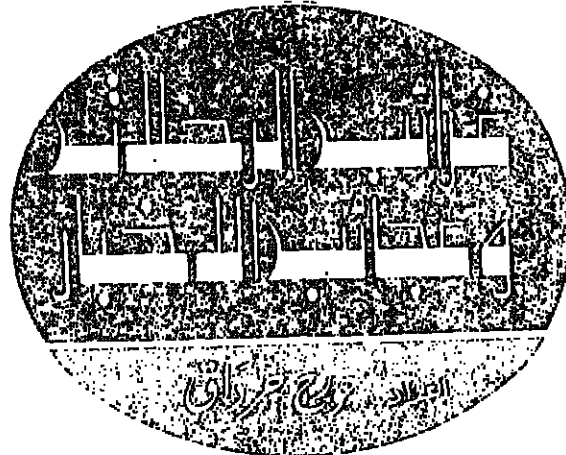
● شركة فوكس ... خسرت في العام الماضي ٢٠ مليون دولار بافلامها . وخسرت زميلتها شركة مترو بنفس المدة ٣٥ مليونا .. والشركتان تفكران في اختصار مصاريفهما ، وقد تصل تدابير شد الحزام الى مكاتب بيروت .



● عمر الشريف ... تفاوضه مؤسسة السينما في القاهرة ليمثل فيلما مصريا — عالميا ، وقد تركت له المؤسسة امر تحديد الاجر والزمان ومن المتوقع ان تكون صوفيا لورين الى جانبه في هذا الفيلم .

● « المجهول » ... المسلسل التلفزيوني انتهى بعونه تعالى بعد ان مرن اعصاب المشاهدين وارهقها ببرودته وسذاجته « وتفنجر » عيون ممثليه مدة ثلاثة اشهر .

● ايلين دفوني ... يستخدمها حبيب كرباج في برنامجه التلفزيوني « قدر واربح » كديكور فقط ، فهو لا يتركها تتفوه بكلمة الا في الرد على التليفون .. اما حبيب نفسه فصوته يبقى طوال مدة البرنامج يلعلع وكأنه يقذف الرصاص من رشاشات كلاشينكوف ...





في بداية هذه السلسلة من « غرائب الرحلات وعجائب الاخبار » ، محدثنا هو الرحالة الفرنسي الكونت دي بوفوار ، ومعه رفيقاه الدوق دي بانتييفر ، والسيد فوفال وهو ، كما يصفه دي‌بوفوار «رجل علم كثير وقلب كبير وخلق رفيع وطبع وديع ، يحبه المرء كما يحب اباه » • وقد اتفق لهذا الرحالة الفرنسي ان سافر هو ورفيقاه الفرنسيان من انكلترا لا من فرنسا ، لاسباب لا تعنينا في هذا الحديث • قال دي بوفوار :

عمر باشا

في الساعة الواحدة بعد ظهر التاسع من نيسان عام ١٨٦٦ ، رفع المركب الشراعي الصغير « عمر باشا » مراسيه ، وجرى بنا في نهر التامزيقودواثنان من البحارة تحت سماء ماطرة قاتمة اللون ، لكي نعود ونركب السفينة الشراعية الكبيرة التي ستمضي بنا في رحلتنا هذه الى مجاهل اوستراليا .

عودة الى الوراء

مضت ثلاثة اشهر على آخر ما تبادلناه من اشارات الوداع مع سكان البر ، وعلى صراعنا الطويل مع الموج والريح في عرض البحر ، ولا تفصلنا الان عن الشاطىء الاوسترالي الا ثلاثة او اربعة ايام من مواصلة السفر في البحر . ولا باس في ان اعطيكم فكرة عاجلة عن هذه الرحلة الطويلة لكي تكونوا معنا وتستمتعوا بكل ما يستمتع به الرحالة بعد ان يجتازوا مراحل الخطر ويجلسوا ليتحدثوا بما احاط بهم من اهوال .

في الايام الاولى

في الايام الاولى من ركوبنا البحر ، عشنا في صراع شاق مستمرمع الرياح المعاكسة لسير المركب . فنحن لم نكد ندخل بحر المانش حتى هبت علينا ريح جنوبية غربية عاتية تنفخ البحر في غيظ وشدة فيغضب البحر وتهاجمنا امواجه‌من كل‌صوب وتضرب المركب ضربا يلوي به تارة الى اليمين وتارة الى الشمال ويكاديصرعه صرعا عنيفا . وكانت الشواطىء الفرنسية والبريطانية تبدو لنا حينا بعد حين ، وفي نهاية الاسبوع الاول غابت الشواطىء البريطانية من انظارنا نهائيا ، وشعرنا من جديد بالجراة تغزونا ونحن ندخل الاوقيانوس الاطلنطيكي ، او بحر الظلمات كما كانت العرب تسميه . فتجتاح امواجه الهائلة مركبنا البائس ، فيعلو على غوارب البحر حتى يصبح وكانه على قمة جبل ، ثم لا يلبث ان ينحط نزولا حتى‌يخامرنا شك في‌اننا اصبحنا في قاع اليم .

البحّار العتيق

في ليلة الاول من شهر ايار ، فيما كانت اشعة القمر تسطع بقوة فوق بحر هائج وامواج غاضبة ، وفيما كانت الظلال العملاقة التي تلقيها الاشرعة من مؤخرة المركب ترتسم بالوان قاتمة على الاشرعة الامامية ذات اللون الابيض المتراقص على حركة الموج والمركب ، توقف المركب بغتة : فلقد هبت عاصفة مفاجئة من ناحية معاكسة لسير المركب ، فانتفخت بها الاشرعة التي تتالف من ثلاثة آلاف متر مربع من النسيج . وشعرنا بالخطر الداهم . وعشنا ساعات صعبة جدا من فقدان الامل . ولم ننج من خطورة الموقف الا ببراعة الربان: هذا البحار الفرنسي العتيق الذي رأينا المعجزات من قدرته الخارقة في معالجة البحر والريح ومجابهة الاخطار الطارئة .

اللؤلؤ الناري

وهدات الريح واطمان البحر وجرت بنا السفينة ونحن في فرح لا يوصف ، ولا يشعر به الا من تخلص من اشداق الخطر الى احضان الطمانينة . ذلك اننا دخلنا منطقة الرياح الغربية المنتظمة بين خطي الكرة الارضية الموازيين للدائرة الاستوائية .

وفي الرابع من شهر ايار ، والايام التي تلته ، راينا من جمال البحر ومختلف احواله ما خفف منا الشعور بالوحدة في قلب هذه الزرقة اللامتناهية التي تغمرنا من فوق ومن تحت ومن الجهات جميعا . ففي كل مساء ، كان الثلم الذي تتركه مؤخرة السفينة على صفحة البحر المتلامع كالفوسفور، يمتد وراءنا وكانه طريق من المرمر الابيض مزروع بعدد لا يحصى من النجوم المتالقة ، وكانت تسطع على جنبات السفينة فتضيئها ملايين من شرارات النور التي تجمعها الامواج الثائرة ثم تنثرها فتطفو دفعة بعد دفعة على زرقة البحر الداكنة .

وكنا نشاهد بين الحين والحين السنة لا حصر لها من النور تتصاعد من اعماق المحيط الى صفحته الخارجية في خطوط مكسرة ، وامواجا سحرية من الضوء تهرع من قلب البحر الى وجهه ، فتمتد ، وتتراقص ، ثم تفقد لمعانها وتتلاشى . غير ان ما ادهشني اكثر من هذا ، وما لا يستطيع كل ما انتجه خيال الانسان من العاب نارية مختلفة الالوان والاشكال ان تعطيك ولو فكرة ضئيلة عنه ، فهو هذه الامواج الهائلة التي تتكسر في ظلمة الليل صاخبة هادرة على مقدمة السفينة وينفجر منها الزبد الابيض ويطير في الجو ليعود ويسقط على سطح السفينة امطارا من لؤلؤ ناري .

الاسماك الطائرة

اما في النهار ، فامتع ما رايناه كان مشهد الاسماك الطائرة التي تنطلق كالسهام من الامواج من كل جانب ، فتلامس زبد الموج المرتفع في الفضاء على جوانب المركب وفوقه ، ثم تعود فجاة وتسقط في البحر كالحجارة اذ تسقط ، وليس هنالك ما هو ابدع من الشعاعات الزرقاء المنبعثة من جوانحها المرتعشة ، ومن اجسامها الصغيرة الشفافة ، ومن « تخابثها » في القفز والطيران .

وطالما كانت هذه الاسماك الطائرة تندفع من الموج في وثبات رعناء ، فتسقط بالمئات على سطح المركب ، لتعود وتقفز من تلقاء ذاتها الى الموقد الكبير الخاص بالقلي والشيّ ... فعوضا عن ان تغطس اجنحتها في الموج ، تذهب بنفسها الى السمن المعد لقليها فوق النار .

سمكة طولها ثلاثة امتار

وقطعنا المنطقة الاستوائية الى الجنوب ودخلنا « منطقة الهدوء » التي يخشاها البحرون احيانا بقدر ما يخشون الهياج . وجرينا في انتظام لا يكدر ابحارنا شيء . ولكن بقدر ما كان كل شيء في السفينة هادئا ورتيبا لا يتغير ، كان كل ما حولنا يتجدد ويتنوع في استمرار . فهذه بعض طيور البحر المعروفة بـ « المويت » ذات الاجنحة الطويلة ، تعقبها « ذوات الريش » وهي طيور بحرية جميلة تجر وراءها ريشتين طويلتين دقيقتين جدا .

ولا تغرب عنا طيور البحر والاسماك الطائرة قليلا الا لنشهد الدلافين السوداء ، والاسماك الذهبية اللون ، واسماك الـ « دوراد » ، ذات الالوان الباهرة الشبيهة بالبرونز المطعم بالذهب ، وكلاب البحر ، واسماك اخرى يبلغ طول الواحدة منها ثلاثة امتار كنا نلهو باصطيادها من على المركب فلا نحصل على واحدة منها بعد صراع عنيف معها قد يستمر ساعات طويلة حتى نشعر جميعا بفرح عام يغمر كل من في السفينة .

واد من الموج

غير ان هذا الهدوء وهذه الطمانينة لم يدوما طويلا . ففي الواحد والعشرين من شهر ايار ، وكنا في المنطقة الواقعة بين افريقيا واوستراليا ، اخذنا نترقب فرصة هبوب الرياح الغربية المواتية لوجهة سيرنا كي نندفع اكثر في اتجاه اوستراليا . غير انني كنت اشعر شعورا خانقا بان الاعاصير على وشك ان تثور وتنفرد بنا في عرض هذا الاوقيانوس .

وصدق حدسي ، فقد هب علينا من المغرب اعصار اخذ يدفع السفينة الشراعية في شدة وسرعة سببتا لنا الدوار . وتراكمت الغيوم وازدادت كثافة وسوادا وهبطت حتى غطت البحر والسماء جميعا ، وازدحمت حولنا وسدت الافق امامنا وورانا ومن كل جهة فكنا لا نستطيع ان نرى حولنا اكثر من مسافة خمسين مترا .

وحدث ما هو ادهى واخطر : فان مركبنا الشراعي هوى واختفى كليا في واد عميق حفرته في البحر موجتان ضخمتان ، وتبعه جدار غاضب مزبد من الماء يعلوه ويجري وراءه في غير انقطاع ويهدده بالانقضاض عليه في كل لحظة . ووراء هذا الجدار الهائل من الماء جرت رياح ذات قوة خارقة تزيد الموج غضبا واندفاعا في اثر المركب ، وتصفر وتهدر .

لا يريدون أن يفقدوا الامل

وفي قلب هذا الضجيج والعجيج والصخب الهادر كنا نتخاطب باعلى اصواتنا دون ان يسمع بعضنا بعضا . وتمسكنا بقواعد حبال الصواري كي لا تجرفنا الامواج التي كانت تخبط سطح المركب كل حين وتغطي اعلى طبقة في مؤخرته بكميات من الماء تبلغ المتر ارتفاعا .

وكان اربعة بحارة يصارعون هذه القوى الطبيعية المخيفة المفلتة علينا وهم يتمسكون بقبضات الدفة ويتشبثون بها بكل قواهم ، وينحنون احيانا وقد خارت قواهم او كادت تحت ضربات الدفة العنيفة .

ولكي لا يخطف البحر رجالنا ويبتلعهم ، تعلقوا بقلسين — وهما اضخم حبلين من حبال المركب — مبسوطين على سطح المركب طولا ، وتمسكوا بهما في جهد من فقد قواه ولكنه لا يريد ان يفقد الامل بالنجاة .

الاشرعة

وكان‌اضطراب المركب من جانب الى جانب يهزنا هزا هو من العنف بحيث استحال حتى على البحارة المحترفين ان يقفوا على اقدامهم لحظة واحدة. فقد بلغ تارجح المركب يمينا وشمالا على راحة الموج الغاضب سبعا واربعين‌درجة ملوية ، اي ان ثلاث درجات ملوية فقط كانت كافية لان ينقلب المركب ويصبح اسفله اعلاه .

وتحت هذه الرياح الهائلة التي يسميها البحارة اعصارا ، والتي كانت تجري علينا بسرعة مائة وستين كيلومترا في الساعة ، انطوت الاشرعة ، وجعلت جدران المركب تفرقع من كل مكان وهو يصطدم بالموج بغير انقطاع .

ولم يبق على المركب الا شراعان صغيران، فيما هوت بقية الاشرعة وانطوت وبطل عملها . وانها لقوة خارقة ورهيبة تلك التي اذنت لنا بان نقطع اكثر من ثلاثمائة وخمسين كيلومترا ونحن في هذه الحال ، بمثل هذه المساحة الضئيلة الهزيلة الباقية من الاشرعة .

على جبل الموج

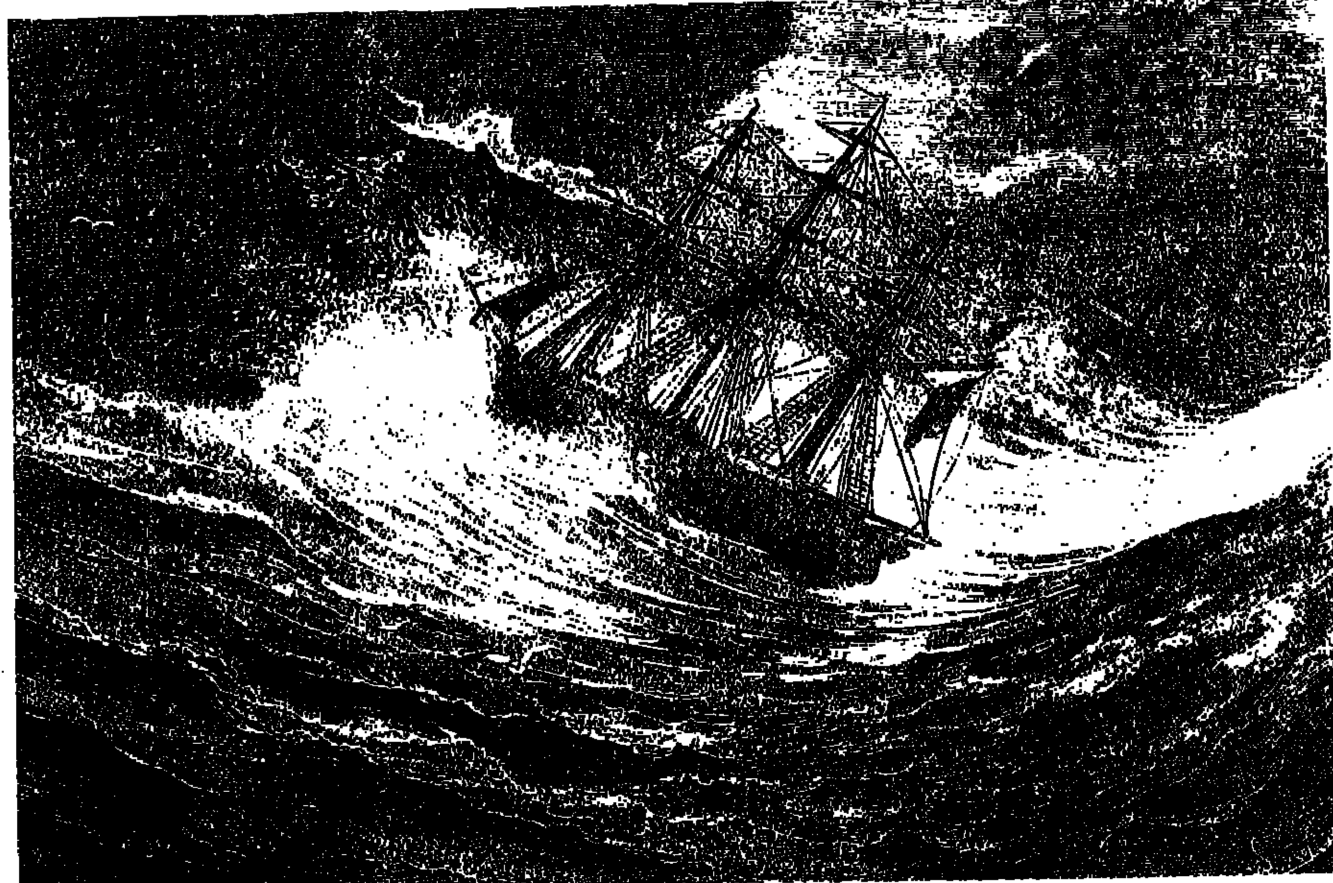
وانفصلت ذروتا الجبلين من الموج اللذين يتلاحقان امامنا ووراءنا ، بمسافة لا تقل عن كيلو متر واحد . وتمكنت سفينتان من اللحاق بجبل الموج الامامي ، وهكذا تخلصنا من اللجج الهائلة التي كانت شماقها المزبدة تشرف على المركب من فوق . وارتفعنا في هدوء على ذروة الموجة التي كانت امامنا . فبعد ان كنا غارقين في واد عميق بين موجتين بارتفاع الجبال ، ها نحن قد اصبحنا معلقين على قمة تجري وتزبد وهي تحملنا على متنها ، فاصبح في استطاعتنا ان نشاهد كل‌هذه الهضاب المتلاحقة في انتظام على صفحة البحر .

اما حين تزلق الذروة من تحتنا الى الامام ، او نزلق نحن عنها الى الوراء ، فنهبط على خاصرة الجبل المائي المخيفة ، فقد كنا لا نرى الافق ابدا . كل ما كنا نراه في مثل هذه الحال ، جدران عالية كثيفة من الموج تحيط بنا من الجهات الاربع .

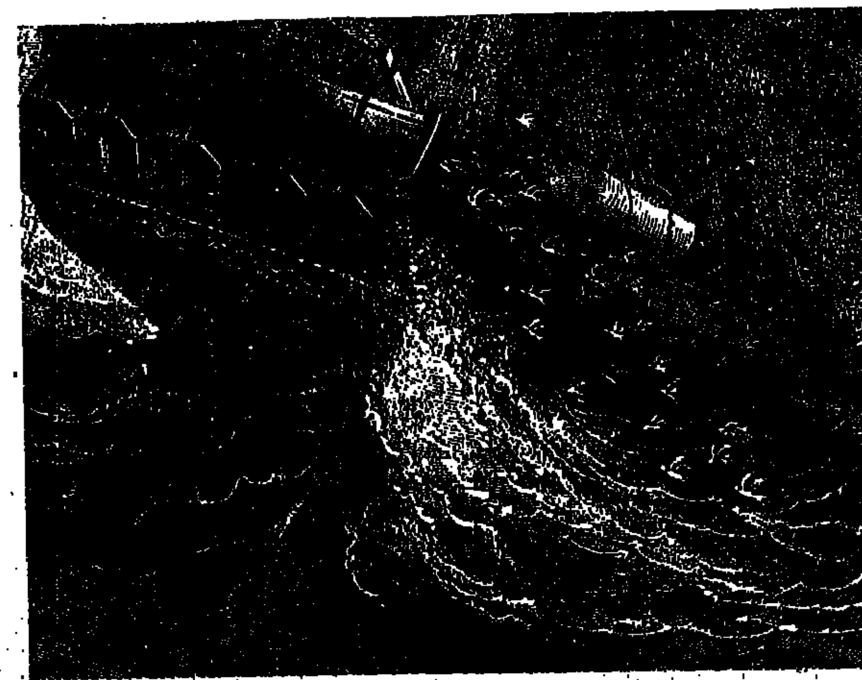
والواقع ان هذه المنطقة من البحر الواقعة في هذه الدائرة العظيمة الاتساع المجاورة للقطب الجنوبي ، لا يوجد بر يوقف هذه الجحافل المتدافعة من الموج ، او يخفف من حدتها .

المركب الانكليزي

وذات يوم خفت حدة الموج قليلا . وشاهدنا على بعد ثلاثمائة او اربعمائة متر ، مركبا انكليزيا ثلاثي الشراع يجري في اتجاه معاكس لوجهة سيرنا ، فكان رجال هذا المركب الانكليزي الآدميين الوحيدين الذين شاهدناهم طيلة هذه الرحلة ، بعد خروجنا من نهر التامز في انكلترا . فتبادلنا التحيات‌بالاشارة . وتميزنا وجوههم وتميزوا وجوهنا . غير ان موجات ضخمة كانت تعبر بيننا كل حين فتخفي المركب الانكليزي عن انظارنا كليا باشرعته وصواريه وهيكله جميعا ، فكنا لا نشاهده الا فرارا : تارة حين نعلو على ذروة موجة ، وتارة حين يعلو هو ثم ينحدر منحنيا على خاصرة موجة تعبر وتروح .



وهبت علينا الاعاصير من الغرب



الزورق الشراعي «عمر باشا»

رجل في الماء

واشتد الاعصار من جديد وهاج البحر وماج وكان الوقت مساء . وعلى الرغم من الصخب والدوي اللذين يصمان الاذان ، بلغت مسامعي صرخة هائلة تقول : « رجل في الماء » !

ففي اصطدام مفاجىء عنيف بين الريح والموج من جهة ، وبين المركب من جهة ثانية، سقط احد رجالنا من على طرف عارضة الصواري الضخمة ، فاصطدم بجدار المركب وهو يسقط ، وهوى الى البحر وغاب في الموج . فوثبنا ناحية زورق النجاة الصغير المعلق على حافة المركب ، وهو الزورق الوحيد الذي بقي صالحا للعمل ، وقطعنا حباله على عجل بقصد النزول الى البحر في حالته المخيفة تلك . غير ان ربان المركب منع ايا منا منعا قاطعا من النزول الى البحر ، فالبحر هائج ساخط شديد ، وهو من الهياج والسخط والشدة بحيث يحطم ويبتلع حالا كل ما يطاله من زوارق او رجال . بل انه يبعث امواجه جحافل تلو جحافل الينا ، الى المركب، لكي يختطفنا من على سطحه ، فكيف به حين ننزل نحن اليه ؟!

لم يشأ الربان ان يسلم ثمانية رجال لموت مؤكد ، لقاء البحث عن بحار اصبح قتيلا لا شك في ذلك .

كان يغني

اما البحار التعيس الذي سقط في الماء وغاب فورا عن انظارنا في تلك الظلمات التي تستبد بنا من فوق ومن تحت ، ولم يتمكن من ان يمسك بحبل النجاة الذي القي الى البحر من مؤخرة المركب ، فلا شك انه تحطم لدى سقوطه ، ولم يتمكن من المقاومة طويلا .

كان هذا البحار التاعس في الخامسة والعشرين من عمره ، وفي صبيحة ذلك اليوم نفسه الذي انتهى مساء بهذه المأساة ، سمعته يغني ! فما كان اقصر اللحظات التي مر خلالها من الحياة الى الموت !

واني لاتصور لو ان البحر لم يقض عليه فورا ، كما اكد لنا ربان السفينة الخبير باعمال البحر واهواله ، واستطاع ان يثبت مدة على سطح الماء ، ما كان اقسى الالام التي استبدت به وهو ينظر الى المركب ، مركبه هو ومركب رفاقه ، يجري امامه ويبتعد عنه دون ان يتمكن من الوصول اليه في قلب تلك المغامر الهائجة المطبقة عليه من كل جانب ، ويشعر ان ذراعيه تخونانه ، وان الاوقيانوس ينفرد به ويبعث اليه امواجه من كل صوب لكي تغرقه الى الابد !

واستبدت بنا الغصة جميعا !

طيور بحجم الزوارق

وبعد انقضاء ايام قلائل على هذه الكارثة ، هدات الريح وسكن البحر واخذت طيوره تقترب من المركب يدفعها الجوع لالتقاط ما يمكنها التقاطه من الثلم الابيض الطويل الذي يرسمه المركب وراءه على صفحة الموج .

وكان كافيا ان نقف على مؤخرة المركب ونرخي في الماء خيطا من حرير علقت في طرفه قطعة قصدير صغيرة ، حتى تاتي حمائم البحر وتشبك اجنحتها بهذا الخيط غير المنظور تقريبا.

اما طيور الـ « فريكات » العظيمة الاجنحة التي يثقل عليها الطيران ، فقد كان يسهل وقوعها ليلا في اجهزة المركب .

اما اغرب طيور البحر ، فهي لا شك طيور الالباتروس .

حين ظهر لاعيننا في الافق اول هذه الطيور المنفردة من طيور البحار الجنوبية ، حسبنا انه زورق يمسح الزبد من الموج ..

واقترب منا شيئا فشيئا ، فبدا هيكله الضخم واجنحته الطويلة وهي تسطع بياضا. اما عيناه فورديتان . وعلى عنقه الابيض خطان ورديان باون عينيه . وهو اطول طيور العالم جناحا .

وسرعان ما الفت هذه الطيور الضخمة مركبنا ، واخذت زلولها الكاسرة النهمة تحوم حولنا في دوائر لا تنتهي فكنا نلقي الى البحر بطعم معلق بطرف حبل متين طوله خمسمائة متر ، فما يكون من الطير الكبير الجائع الا ان يرسم في الجو خطا اولبيا بطيئا ، وتتلامع في الشمس اشعة حريرية تنبعث من اجنحته التي تزيد دائرتها عن خمسة امتار .. ويقف على الموجة طاويا نصف جناحيه ، تاركا نصفهما الاخر مبسوطا وعاليا كاشرعة السفن القديمة ، وينقض على فريسته — اي الطعم المعلق بطرف الحبل — حتى اذا ما شعر بوجود الطعم غطس بالماء في خط عمودي مستقيم .

اما جره من البحر الى سطح المركب بعد ان يعلق بطرف الحبل ، فيقتضي جهود خمسة او ستة رجال على الاقل .

الوحش الطائر

والطريف في الامر ، ان هذا الطائر ، اي الالباتروس ، اذا ما قبض عليه وحمل الى سطح المركب ، ياخذ بالجري على المركب جريا عنيفا ، ويهيم في كل الجهات ، دون ان يتمكن من الانطلاق للطيران ، فيبقى على هذه الحال اسيرا من غير ان يكون مربوطا بما يعوقه من الطيران .

ولكن تصور اية خبطة هائلة تصيب الهواء حول هذا الطائر الضخم حين يضربه ضربا متواصلا موزونا بجناحيه اللذين يزيد طولهما عن خمسة امتار !

وانا واثق من انه لو قدر لواحد من هذه الطيور ، او من هذه الوحوش البحرية الضخمة الطائرة ، ان يحوم في حقولنا بالبر .. لهرب الفلاحون منه هلعا ورعبا . غير اني اطمئن هؤلاء الفلاحين .. الا ان هذا الطائر الهائل الحجم شديد الغباء والجبن : فان طائرا صغيرا من طيور الـ « مويت » البحرية يستطيع ان يطارده ويجبره على ان يهرب من امامه ، الامر الذي اطال متعتنا في الايام الاخيرة من ركوبنا البحر .

بداية الرحلة

هذا ما كان من امرنا في البحر ونحن متجهون الى قارة اوقيانيا نرود مجاهلها ونكتشف مخبئاتها . اما ما شاهدناه في مجاهل تلك القارة من غرائب ، وما صادفناه من امور لم تكن في الحسبان ، فانتظرونا في العدد المقبل ، حيث تبدأ الرحلة .

بقلم : محسن الوائلي ، البصرة

أقلام الشباب الجدد عملت على تطويرها ، ورغم هذه الفورة فإنها لم تصل بعد الى البعد الحضاري الذي يتأصل بوثوق مع الحركة الفنية الابداعية في العالم

●●● ثمة ظاهرة تركزت بوضوح في العراق في السنوات الاخيرة ، تتجلى في هذا السيل القصصي الذي نشهده اليوم في القطر العراقي . تجلت هذه الموجة في اواخر الستينات ، وبدء الستين كان المنطلق لها . يشمل هذا الظهور في التيار الشاب ، واصبحت القصة تحتل المرتبة الاولى بالنسبة للشعر اليوم ، بعد ان كان الشعر يحتل المرتبة الاولى.

■ جعفر الخليلي

يمكننا ان نصنفه — ليس على اساس الشهرة او الاسم او الصعود على حساب المحسوبيات والصداقات او النقد الاخوي الزائف — انما على اساس الرصد التاريخي والنقد الفني والمسؤولية الحضارية . على هذا الاساس نقسمه الى :

● ١ — تيار تقليدي ما زالت كتاباته تتسم بمشروعية الكلمة والالتزام الفكري وهذا التيار يرتبط بوثوق بجيل ذنون ايوب ، وجعفر الخليلي ، ومن ابرز كتابه في هذا المضمار عبد المجيد لطفي ، وادمون صبري . وممثلو هذا التيار سقطوا في تخلف كونهم لم يستطيعوا مواكبة الاستجابة الواعية لمؤثرات التطور التكنيكي للفن القصصي الجديد المستوعب لقضية الانسان وهمومه التي بدأت تجتاح واقعه فانزلق في محاولات رفضية للاحتفاظ بصفاء ذهنيته عبر محاولات تشبثية دامية . وهذا التيار يمثل عهد الريادة الاولى في القصة العراقية وبما انه لم يحاول الاندماج بحركة الفن التجديدية في العالم والعصر فلقد ظلت اشكاله جامدة في حالات عهدها الاول .

● ٢ — تيار القصة الواقعية الحديثة :

رسخ معالم هذا التيار ووضع حجر الزاوية فيه ، جيل عبد الملك نوري ، وفؤاد التكرلي رواد جيل الخمسينات . هذا التيار ايضا الذي هو امتداد لجيل الرواد في الخمسينات عبد الملك نوري ، والتكرلي ، ومهدي عيسى الصقر ، يشمل محاولات الشبان الذين يمثلون تيار الواقعية الحديثة في القصة العراقية ، والاصوات الجديدة ايضا : موفق خضر ، خضير عبد الامير ، عبد الصمد حسن ، ديزي الامير ، محمد خضير ، سهيلة الحسيني ، حسب الله يحيى ، ناجح المعموري ، محمود جندارلي الجميلي ، بعض كتابات عبد الستار ناصر ، بعض كتابات سركون بولص ، بعض كتابات موسى كريدي . ويشمل ايضا : فهد الاسدي ، غانم الدباغ وهما من جيل الوسط ، استطاعا ان يواكبا حركة التطور في فن القصة الجديدة وقد جاء ضمنهم يوسف الحيدري في بعض قصصه « حين يجف البحر » .

هذا التيار يدلل بوضوح على انه مؤهل لان يتصدر التيارات القصصية في القطر العراقي ، ذلك لانه ادخل التكنيك الجديد في القصة التي استطاع بواسطته ان يعلو ويتجلب — الميلودراما — وفي اكساب نماذجهم القصصية قيمة جمالية متضمنة ايضا صيغا ذكية للواقع الاجتماعي والحياتي المعاش . الى حد ان بعضهم وقف موقفا اجتماعيا مقرونا بالصيغ الجمالية والتكنيك الواضح في اغلب محاولاتهم — رغم قلتها ورغم ترديهم احيانا في مباشرة تفقد اعمالهم مسحتها الذكية البعيدة ، كخضير عبد الامير ، وديزي الامير ، وعبد الصمد حسن ، ومحمد خضير ، وفهد الاسدي . هؤلاء يمثلون التيار الفني الجديد الذي يسمى بـ (تيار الوعي) وذلك في المحاولات التكنيكية الجديدة التي ميزت القصة العراقية بسمات الواقعية الاشتراكية وذلك عبر المعالجات الانسانية الجادة . واكتسبت معظم نماذجهم ملامح ورؤى الواقعية الانتقادية عبر حسية واعدة وديناميكية رافضة القديم وسلبياته والنظرة الجامدة الضيقة . وهذا الوعي هو الذي مثله جويس في بناء اعماله بدرامية وشفافية وتكثيف للواقع الحياتي المعاش . رغم هذه الشفافية والبناء الدرامي وهذا المزيج الشاعري الملحوظ بين الرؤيا الواقعية والرومانسية ورغم الرفض الحاد المكثف للسلبيات والنظرة المحلية ، رغم هذا فان كتاب هذا التيار عموما يقعون في مزالق الفردية والذاتية المتميزة او بمحاولات التاثر المباشر والسلبية احيانا .

● اما التيار الثالث ، فهو التيار الذي امتاز اصحابه ان يستغلوا الثورات الفنية التي استحدثت في شتى مجالات الفن والادب ، فخرجوا على الاشكال القالبية لانها — حسب رايهم — اشكال كلاسيكية مستهلكة لا تفي بحاجة الانسان والعصر ولا تتسع لحالات الوعي المعاصرة ، وبذلك اكسبوا اعمالهم الفنية حدة صارخة تتراوح بين : الغموض احيانا ، والاستغراق في فردية وذاتية احيانا اخرى . وهذا مما اضفى على نماذجهم نظرة ضيقة جامدة وخلطا واضحا بين مشروعية التجديد وجوهر الثورة الحقة في — الفن القصصي خاصة — . يمكن اعتبار اغلب كتابات : عبد الرحمن مجيد الربيعي ، عبد الستار ناصر ، سركون بولص ، غازي العبادي ، جمعة اللامي ، موسى كريدي ، محسن الخفاجي ، عبد الجبار العبودي ، سالم العزاوي ، بلقيس نعمة العزيز ، يوسف الحيدري ... وغيرهم من الاسماء الشابة اللامعة .

يمكن اعتبار اغلب كتابات هؤلاء انها تقع ضمن هذا التيار ، رغم ما تخلل المحاولات القصصية في العراق من نظرة ضيقة ، ورغم انها لم تصل الى البعد الحضاري الذي تتوخاه في تطلعاتها الفنية والفكرية ، فانها باستيعابها حالات الوعي للعصر وللحياة الواقعية المعاشة وبما قدمته من نضج وانطلاقة — رغم انها لم تصل الى النضج والثراء الذي قدمته القصة في الخمسينات — يسجل لها علامة بارزة في مستقبلية تراثنا القصصي .

■ فهد الاسدي ■

■ يوسف الحيدري ■

■ ديزي الامير ■

■ عبد الرحمن مجيد الربيعي ■

التيار الشاب تعهد المسؤولية اليوم وهو يعمل بداب من اجل تحقيق تاصل للقصة العراقية الجديدة بثوبها الجديد بحيث تكون قادرة ومستوعبة — فنيا وفكريا — لقضية الانسان المعاصر عبر همومه المطروحة في الواقع المعاش ، وحركة دابه تلك محاولته الجادة لخلق اشكال جديدة تستوعب — قلبا — قضاياه المضمونية . وهو بهذا يحاول جادا ايجاد الوعي المماثل لاستمرارية حركته التجريدية ومن اجل استهداف — التاصل — وحتمية البقاء عبر الشكل الفني الجديد الذي اختاره لمضامينه القصصية الملتصقة — فعلا — للحركة المعاشة للانسان اقترانا للحظة الحضارية المعاشة .

البعد الحضاري

ورغم هذه الفورة الشابة التي نلمحها اليوم والتي يسهم فيها نخبة من ادباء القصة الشبان فان القصة العراقية لم تصل الى البعد الحضاري الذي يتاصل بوثوق مع الحركة الفنية الابداعية في العالم . وذلك رغم المحاولات الجادة عبر فترة زمنية بعيدة جدا . ولكن الخلق المقرون بوعي هادف يضع القصة لتسجيل علامتها عبر رصد شامل للاعمال الفنية المقرونة بمناخ تاريخي وحضاري .

وان القاص العراقي الشاب بدا يطرح السلبيات ورفض البهرجة الفارغة خارج نطاق حركة خلقه الرائدة الجديدة ، وان الصيغ الجمالية في حركة الاختيار الذوقي — عبر حسية — متقدة بدأت سماتها واضحة تتنامى حثيثا . وهذا يدلل مستقبلية القصة الوليدة عبر ارهاصات دامية اودت — بعض الشيء — بالكثير من السلبيات الكلاسيكية الجامدة .

اختفاء ملامح الساعة الدامية

القصة العراقية لم تحقق في قضية الساعة شيئا . وكان ادب المقاومة — كجيل فكري جديد بكل شيء ولد غب النكسة واستمر للحظة التاريخية الحالية — لم يؤثر في ذهنية القاص الشاب اذ انه يحس بذات الشعور الذي فرسته نكسة حزيران في ذهنية المثقف العربي فوجد نفسه غريبا يمزقه الضياع والجمود بعد ان تبلدت احاسيسه وتاه في مزالق الذاتية . باستثناء بعض المحاولات الجادة — والخالية — رغم ما حاوله القاص من تجسيد احساس الفرد العربي غب النكسة الدامية لكنه جاء مخيبا للامال بوحدته الفنية التي جسدت احساسه وضياعه هو — جاء ذلك من خلال انفصامه — عن شعبه شمولية — وان وحدته الفنية لم تتجاوز السطحية وانها تشكو ضعفا تكنيكيا ملحوظا . يدلل بوضوح على انغماس القاص العراقي الجديد وتقوقعه في محلية جامدة وانه لم يمتد بصوته للعالم الخارجي ابدا . ولذلك فقد خلت القصة الشابة — باستثناء بعض المحاولات — من المسؤولية العربية الصميمية لواقعنا المعاش غب النكسة الدامية .

عن التيار الشاب وابرز كتابه الشبان

الجيل القصصي الشاب في العراق اليوم

بقلم : موريس عواد

●●● ديوان آمال جنبلاط « اغاني ليلية » الو وجين : وج ابيض متل الطفولي ، ووج متلان هموم وبكي ، قصايد عم يفرفرو ، ويخلو خيالك يفرفر ، وقصايد بلا جوانح او جوانحا زغيري ما فيا تعلي عالغصن الكبير . مش هيك عم نشوف بكل اول ديوان عند كل مرا ؟ ...

الديوان ببطل بقصيدي فيا من التشابه العميق بين الانسان والاشيا اللي هوي خالقا مازووقو ، والاشيا اللي خلقت قبل منو وفرضت زوقا عليه .

فيا تعبير لكل حركة حول الانسان ، لانو كل حركة برات الانسان بتكون جواب لطموحو وخيالو العم يتحركو ليل نهار ، كانو هالقصيدي عم تقول : روح مع الشاعرة للاخر . يللي بيقرا متل هالاشيا باول قصيدي بيعود الو قلب يفلت الديوان قبل ما ايد اليمين تقلب اخر ورقة ؟..

عطوني الديوان ناس بعرفن ، والديوان لبنت ما بعرفا ، حملتو تحت باطي وعربشت مالمزار الناطرني بيصاليم ، ومتل العم يفتش ع شي مضيعو بلشت اقرا ، لقيت شي ؟ صرت لاقي وضيع . قصيدي تاخدني ، وقصيدي ترجعني ، هون انتلي ، وهون افضاء مرة زفف للجمال ، ومرة ازعل وقول : لو كانت قبالي : ت التفت فيا وقلا عتبي عليكي ، وضليت روح واجي بين الكلمات والقصايد ، حتى ندهت ريشتي وقلتلا : تعي يا ريشتي واكتبي : ديوان آمال جنبلاط مش متلانة الدني منو ، بس هوي المتلان من الدني .

فعل اصفاء . يما فعل حكي ؟ او مرة هيك ومرة هيك ؟ يما فعل بكي « بوادي البكي » ، يما قلب الشاعرة عم يقطع خيطان الطفولي ت يهرب ، وشرد بين الصوت السكوت وسكوت الاصوات » ؟

■ آمال جنبلاط ■

المناخ فنائي متل كل اول ديوان عند كل الشعرا ، بس السكب مش كلاسيكي ، ما عدا قصيدة « الشط الثاني » وكل الديوان فيك تختصرو بكلمتين : السؤال الكبير :

« لايمتي رح بتضل السنين
تكرج عادقات الوجع ؟ »

وبتعبير تاني : اول الطريق لجوات الاشيا . صحيح انو الخطوط القرف عم يدور حول الشاعرة ، بس من وقت لوقت عم تشنلق عليه ، وما بتخليه يتمشق بفسطانا . وبس الكاس ينتلي وبدو يطفح بتهرب عالطفولي اللي كانت تعرف تصلي : و « بتركع » مدري بتنطر ، مدري بتصلي ، مدري النطرا هيي صلا :

« راكعا ، وعم انطر
ت تمرق السنونو
وعارفي رح تمرق
وتجبلي معا
الايام الحلوي » .

□

ليش يا هوا
ما بتطير فيي
متل القش اللي بتسرقو
من عشوش العصافير ؟

□

ليش ما بتاخدني ماجوانحك
متل ما بتاخد القشي
اليابسي مالشمس ؟

□

ليش يا شتي
ما بتشتي
ما ايامي اليابسي
متل ما بتشتي
عالزهرا العطشاني ؟

□

انا الحرير الطاير
من عش الحمام
انا الريشي المهربي
من جانح العصفور » .

□

وحدها القصيدي الي حروفها بيتاكلو وتترا « بواشتي وعصافيري الوحشية
عم يستلرفو الدم الاحمر
نقطة ونقطه
ع درج الفجر الابيض » .

ومنقرا كمان : « انا سجرا بدون ورق ، عليها كم بومه عم يحسو » .

شو بنا يا آمال عم تزرب البومه والحمامه بقفص واحد ؟ متل البنت اللابسي كفوف بلونين : ميلي ابيض ، ميلي اسود .

خلصت سنة ١٩٦٩ وبعدو ديوان مي مر « ليش الورد » الوحيد اللي ما في سواد واشيا واشيا ..

آمال جنبلاط مرحبا .

قصائد رومنطيقية

لأديب صعب

●●● كتبت هذه القصائد في بيروت ، في مطلع ربيع ١٩٦٨ . وها هي ترسل من بريطانيا الى « ملحق الانوار » ، حيث تنشر للمرة الاولى .

احسست ان بيني وبين هذه القصائد زمنا طويلا ، لكني احبها . القصيدة الطويلة اهم ظاهرة في الشعر الحديث ، وفي الشعر العربي الحديث ايضا . لكن الشاعر احيانا يتعب من القصيدة الطويلة ، واحيانا ينتابه شعور يحتم عليه ان يكتب مقطوعات قصيرة كهذه .

لا اريد ان اقول ان هذه القصائد سميت « رومنطيقية » لانها قصيرة . ولا يمكنني ان احدد تماما لماذا هي « رومنطيقية » . لكني اترك للقارىء ان يساعدني في اعطاء هذه القصائد هوية معينة في عالم الشعر .

■ « أ.ص » ■

لم ادرس الخريطة

● لم ادرس الخريطة ،
لا اعرف المقياس .
ما وطئت رجلاي غير بلدي —
(اعرف شيئا عن بلاد الناس
من كتب ، من ناس ...)
لكنني اعاين الربيع في اوله :
براعما تصدح تحت الثلج ، بين الموج ،
في الاوراق ،
تورق في جنائن الاعماق ، في تلفت الاحداق .
احس ان فرحي
اوسع منها — يحضن الافاق والعصور
والفضاء .
انظر — لا اعرف اين تنتهي الثلوج ،
اين تبدأ السماء ...

اعاين الربيع في اوله :
احس خيطا بينه وبيني ،
يربطه ، يربطني ، اعاصر العصور ،
اولد في الرياح ، في الاغصان ، في الامواج ،
في الثلوج ، في تنقل العصفور ،
اولد في الجذور ،
اختصر الارض بخطوتين ...

من اين ياتي الثلج ، اي قطب ؟
من اي بحر تولد البحار ؟
من اين تاتي الشمس ، كيف تمضي ؟
من اين ياتي الليل والنهار ؟

اعرف ان البحر في بلادي
لها ، وان الشمس والثلوج ...
اضواؤها ، صقيعها ، تصعد في عروقي ،
وموجها في اضلعي يموج .
فلتات من اي مدى ... لم ادرس الخريطة .
لكنها تحل في ارضي ،
في جسدي ، وتكنسني خطوطه ...

زهرة ليمون

● من ياتيني ؟
بغبار الحقل ، باول زهرة ليمون ؟
اذكر ، لا اذكر : احلام
فرت من طاقات جفوني .
جف القنديل على هدبي ،
وتعرى صدري ... فطوني
اعطوني سمتي ، اعطوني لغتي ،
اعطوني ، اعطوني ...
ردوني طفلا في بلدي :
نهرا ، عصفورا ، غصنا ، كوخا ،
بعض تراب ، او ورد ،
ردوني طفلا ، ردوني ...

زاغت عيناي ، تكهف وجهي —
كيف يطير العصفور ؟
ابصر من خلف الاسلاك فضاء ...
لو كنت اطير ،
ويطير معي قفص الاحزان ويرميني
في بلد ، اولد فيها طفلا ، نبعا ، زهرة ليمون .

مهلا ، بدأت فيروز

● لم يبق في كلامي
دم ابخس جسد العبارة ،
لم يبق : لا ايد ولا حجارة ...

أواه ، لو لي وطن
انهض من ترابه ،
اركض كالتلال على اهدابه ،
ارف رف الغصن والحمام .
بعض رؤى عابرة امامي ،
ثمة اصوات هنا ، هناك :
(علوا . لقدت ربما ...
... ...
لا ... اغلق الشباك !)

اذكر : كنت جبلا ، ذراره
تهب في مخيلة الرموز ...
يا سائق السيارة !
اسرعت ! مهلا ! بدأت فيروز .

بائعة الزعتر

● آه يا بائعة الزعتر : عرفنا ،
باقة فيها بقايا من ترابي ،
من زهور الحقل ، من شوك الهضاب .

ان في قلبي دما ما زال بكرا :
ربما حول شراييني غلاف
من دماءات جدودي الصالحين ،
الفيسن
سكنوا ارضي ، سقوها دمهم دهرا فدهرا .

ان في قلبي دما ما زال بكرا ...
آه يا بائعة الزعتر : عرفنا يلفه
قبلنا بمحضنه ، يصعد فيه
صدا الارض الخراب
باقة فيها بقايا من تراب ...

ياسيّدة الجرح : عطرك يملأغرفتي

اردت ان اصفك ، خفت .
لو وصفتك لعرفوك .
أردت أن اقول شيئا في عينيك
عيناك واحتا عالم لم يولد بعد
ولو عرفوك لعرفوني
ولو عرفوني لصلبوني في الطرقات
يا حبيبتـــي :
دعينـــي غامض السطـــور والاحرف
ولنظل هكـــذا
أنت الهداية والزينـــة
وأنا الظل في كل ظلام الارض

ابصرك الاعشاب البرية والجـزر
النائية والشاطىء البعيد
نتقاسم معا الغربة والهواء ثقيل
ها نحن نتمنى الوطن
والوطن بنادق في الصدور
انت هناك وحيدة ، وصورك علـى
جدران العذابياامراة ،يا افق البجع
الابيض :
خطواتك مالك الحزين في صحـــراء
النقـــب
وكل عيوني لك لو كانت عيونـــي
تباع
لو يشترونني ، لسافرت اليـــك
ووضعت ثمني في احضانهم
لكنني العلقم والمر والفقر الجائع .
وانت جميلة الجميلات
لكنك يا حبيبتي
فقيرة مثلما انا فقير
قلبك متعب يحمل وزر الدنيا واثقال
السماء
وقلائل الذين يصغون لنا
وهم مثلنا فقراء
وهم مثلنا شعراء
وهم مثلنا متعبو القلب والحياة
يحملون على اكتافهم وزر الدنيـــا
واثقال السماء
كلنا في العتمـــة .
نكتب قصائدنا على شموع التامل
في عينيك
وانت هذا الوفاء الباهر
وانت الحلم الغني بالاساطـــير
والخرافات .

★ ★

ايتها الوديعة كغابات لم تطاها قدم انسان :
عيناك مزاران لنبيين لن يموتا .
عيناك شعلة الحب في جحيـــم الكراهية
احلم ان اركض اليك ، احلم ان اركض
لكنني مشلول القدمين كلما فتحت اجفاني وجدتك ابعد من الازل ، ابعد من الابـــد .
ايتها القديسة ، يا براءة النساء :
صار حبنا اسطورة .
اعدنا الى الذاكرة القصص المنسية عبر قرون .
اعدنا الى الذاكرة ،
شرفة الورد وعازف القيثار .
اعدنا الى الذاكرة ،
قيس بن الملوح وليلى العامرية .
كان يجب على غيرنا من زمان ان يعيدها الى الذاكرة ،
لان الحياة صارت جافة صـــارت ارقاما الى ارقام .
لان الحياة صارت جحيم الطـــرح والجمع .
صارت الحياة لا تطاق .
ولم يعد لنا
سوى العودة الى الحب والبراءة والصفاء .
صارت الحياة فحما .
لنشعل الفحم ونحوله الى رماد ،
لنذر الرماد في اجفان الاطفـــال والعـــذارى
عسى يعود الخفر الى الوجوه
عسى يجمر خد حسناء اذا سمعت كلمة غزل
عسى يعود تاريخ العشق الـــى ذروته المشتهاة
بك يا حبيبتي
نبدأ هذا التغيير ، بك نصير ونعشق ونحطم الارقام

« عابر سبيل »

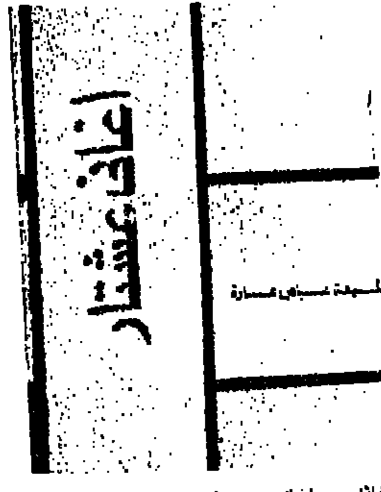
●●● ايتها المسافرةالغائرة كالحزن في اعماق نفسي :
اوشك شوقي اليك ان ياكلني ، يجرفني في ماضي ذكرياتك ، ويلقيني على شاطىء اخبارك .
يا حبيبتي : كثيرة قصائدك الي ولم اكن استحق . كنت مدار اهتمامك ولم اكن استحق . وفي الحق اعبدك وانت الصلاة اليومية .
ايتها المسافرة بعيدا بعيدا وانفاسي تلاحقك عبر القارات :
يا سيدة الجرح ، يا قدر العمر : وحدي احمل اساك بصمت المتعبين وارى الاشياء من خلالك واتـــذوق السحر الذي به تنشدين .
انت يا كل احبابي
قرات مرة شعرا صينيا قديما :
« الناس يأملون في البقاء مائة عام
والازهار لا تبقى الا ربيعا واحدا .
رفعت راسي وتأملت القمر
ثم اطرقت وفكرت في وطني
لا يعرف احد ما في صمتي » .
يا حبيبتي : انتبعيدة وانا فيالمنفى
انا الزهرة
وانـــت ربيعها .
لو تعودين . لقد جف في الاخضر ، وكاد الغصن ينكسر تحـــت همس الحنيـــن .
تعالي . فلم يبق لنا الا القليل من العمر . ولم تبقلنا الا ساعات حياة .
انت كل النجوم تتوهـــج تحـــت عرش السماء . عطرك يملأ غرفتي وملابسي وطعامي . عطرك الطريق وانا اليك امشي . نجمة الصبـــح يا عراك الماضي والحاضر . يا جارتي في كل خطواتي . اسمع همسك عبر آلاف الاميال . اقبل كلماتك القليلـــة النادرة . كلمة كلمة .. انتقل علـــى اوراقك تنقل الموج على البحر .

★ ★

يا ردائي : تمنعين مني صقيـــع الغربـــــة .
ها انا اكرر شوارع المدن علـــى خطواتي ،
ولا أحد يرفع يده
ولا احد يهمس بتحية
نحن غرباء نمشي على اطـــراف الجدران ونقول « يا رب الستر »
صرنا ثقلا
صرنا عبئا ، وصاروا يلاحقوننا
وصرنا اللصوص والليل والهواها بلا شفاه
يا حبيبتي ، يا حبيبتي : كلانا كاس الاخر
فلنجرع كاسنا حتى الثمالة .
ابصرك الاعجوبـــة والسمــــاء والمجهول

شاعرة عراقية معروفة لها ثلاثة دواوين شـ
قال عنها السيّاب : "صوفية ... حتى في مهـ


■ ... الفنان العراقي ... ■



■ غلاف « اغاني عشتار » ■

●●● كانت مفاجـــأة المهرجان الثاني (للاطفـــال الصغير) الذي اقيم في مسرح الاونيسكو ، ظهور الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة وغياب الشاعر محمد مهدي الجواهري . وقد تبايـــن الراي في الشاعرة البدلة . وان كان ثمة اتفاق علـــى انها ليست بمســـتوى الجواهري . التباين ووجه النقاش دارا حول وصـــول الشاعرة الى قمم الجواهري ومع ذلك ارتفعت شاعـــرة العراق القاء وصوتا الـــى مرتبة عالية . فهي تناولت الحرف بكـــل نعلقـــه . وتمسك بالنغم كما او انـــه وتر بين شفتيها . واثقة من نفسها الى درجة عرفت فيها كيف تنتـــزع اعجــــاب الجمهور .

« اغاني عشتار »

اذا كان البعض قد فوجىء بحضورهـــا مهرجان الاخطل وباسمها الجديد على الاذان، فهي من سكان مملكة الشعر منذ عـــام ١٩٥٩ حين صدر لها « الزاوية الخالية » و « عودة الربيع » عام ١٩٦٢ ، واخيـــرا « اغاني عشتار » عام ١٩٦٩ .

كشفت لميعة عمارة في قصيدتها بمهرجـــان الاخطل عن الجانب الخلقي في شعر الاخطـــل الصغير ، وفي ديوان اغاني عشتار الذي صدر لها حديثا تكشف لنا عن الجانـــب الخلقي في الحب والغزل ، وبقدر ما اجادت في وجدانياتها نجيد في هذا الديوان بغزلها ، ربما ولسبب واحد ، ان هناك خلفية سياسية للشاعرة تنظر من خلالها الى المجتمع وعلاقاته . وتقول فـــي قصيدة عنوانها « اغنية حب » وتهديها الـــى كل عامل يصنع الشروق :

« حبيبي انسان كادح
زنـــد اسمر
وجبين مسده العنبر »

وتقول في قصيدة « همسة » :

« كلانـــا جريح يداري هواه
ويكتم صرخته اليائسة » .

قصائد متفاوتة

النفس الذي يشيع في الديوان يتفـــاوت بصورة ملحوظة بـــين القصيدة والاخرى ، فهي ممتدة بين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٩ ، فـــاذا لاحظنا تعاقـــب الاحداث خلال هـــذه الرحلة الزمنية على العراق وعلى البلاد ... لادركنا التفاوت النفسي في ديوان ... عشتار ، مع ذلك حافظت على درجة ... الحرارة الشعرية نجدها في كل قصيدة ... لا تخلو من الرمز العميق اذا تحدثت ... السياسة ، ولا تخلو من الصدق ... بالاحداث الاجتماعية التي نعيشها ، و... في كل قصيدة عن صوفية الكلمات و...

١٩٥٩ —
« حلو ، وناعم ، وابيض
ما اجتنا ما زرعنا
من غير بذر او حصاد بيبغي » .

١٩٦٢ — « مسمر الاخطو الى غاية
ام ... منها ولسم بقربه » .

١٩٦٦ — « احلم ان اراك
لا مكان ، لا زمان ، لا خطى تريب » .

١٩٦٧ — « كنت امحوك ، واعاني ... الذكـــرى البعيدة
والابيب الشعر والتفر وعينيك ... » .

١٩٦٩ — « لم يترك الدهر .. بأي ...
قد تركت قبلته في شفتي ... » .

هذا التفاوت يربطه نفس شاعري و... لم يهتز مع تفاوت الزمن وتتابع الاحداث ولعل ذلك يرجـــع الى الاصالة الشعرية ... لميعـــة عمارة ، تلك الاصالة النابعة من ... الحزن والكلمات في نفسها فهي حقيقة ... لتنقل الكلمة التي تعبر عن طبعها دون ... حتى اننا اذا حاولنا طرح بديل لبعض ... لعجزنا عن ذلك لانها صادرة عن ... تكلف .

الحب الصوفي

لقد احب شعراء العراق وابناؤها ... لميعة عمارة لسبب يترجمه لنا راي ... السياب القائل « بانها صوفية حتى في ... وانعكاس ذلك في اغاني عشتار يبدو ...

« احوم لا اراك لكنني
اعيش معنى فيك لم يفتقـــد
اسمع عشك الناس ان حدثوا
واكتفي بذكرك الطيب » .

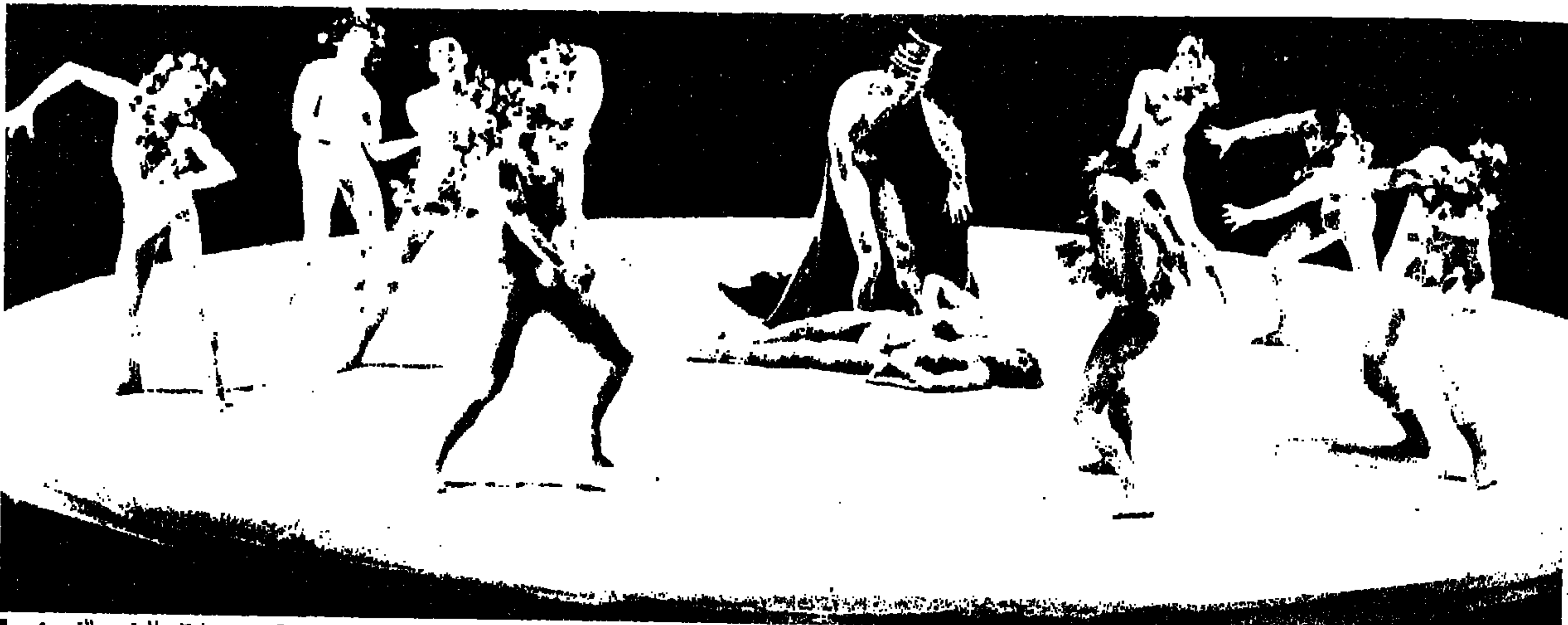
هذه الرؤيا الصوفيـــة من اسمى ... الحب ، فهي صافية ليس فيها ... تصنـــع فهي ليست عذرية من الجسد ... الجسد ، وليست مثالية « الى ... الجسد » انها شيء جديد لم يصل ... الذين يختفون وراء مشاعرهم ما ... معاني الحب المادية .

واذا ارتفعت لميعة عمارة الى ... القائها الشعري المليء تكون قد ... اخرى بارزة على صعيد شعرها ...

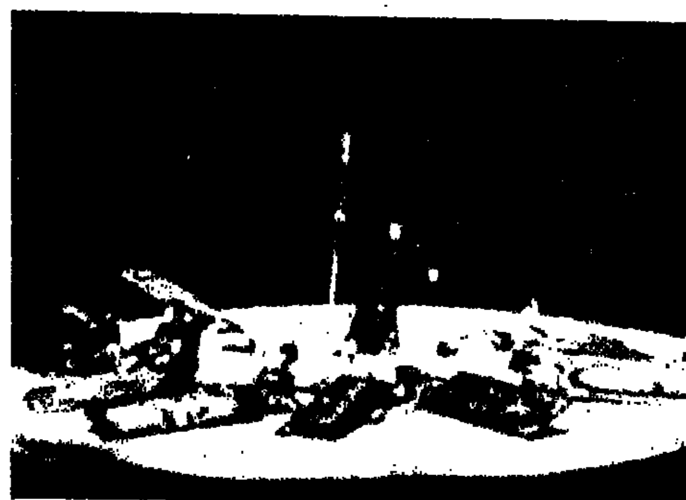
« ... »

غسان ابراهيم

هؤلاء : تحرّروا من كلاسيكية الرقص ... فأرقصوا العالَم !


■ مشاهد مختلفة لفرقة مسرح واركلو للرقص التعبيري





●●● تعم العالم اليوم موجة من الفنون التشكيلية والتعبيرية الحديثة اكان في حقل الرسم الفني ام النحت ام المسرح ام الرقص . فقد اصبح للفنون التشكيليـــة والتعبيرية اليوم هواة يزداد عددهم كل يوم . اذ ان هذا النوع مـــن الفنون ينسجم مع اجـــواء العصر ويعبر عنها .

التعبير بحرية

والرقص التعبيري الذي انطلق مـــن الكلاسيكية وتطور حتى وصل الى ما هـــو عليه مسرح الهير في لندن الذي يسمح للفنـــان ان يعبر على المسرح عن كل ما يشعر بـــه وبالطريقة التي يريدها ، اذ ان هذا النوع من الرقص يمكن الراقص من التعبير عـــن الموسيقى على طريقته الخاصة لا ان يتقيـــد بالقوانين الكلاسيكية المعروفة في الرقص .

« قصة الحي الغربي »

وقد بدات شهرة الرقص التعبيري تعـــم العالم بعد فيلم « قصة الحي الغربي » التـــي احتوت على الكثير من الرقصات التعبيريـــة والايقاعية التي صممها جيروم بادن الذياصبح من اشهر مصممي هذا النوع من الرقص في العالم .

شهرة واسعة

والجدير بالذكر ان اكثر الراقصـــين الكلاسيكيين في العالم يتجهون نحو هذا النوع من الرقص الذي يحررهم من القيود الكلاسيكية التي تقيد حركات الراقص وتمنعه من التعبير من الموسيقى بالطريقة التي تريحه . وقـــد قامت في اوروبا عدة فرق للرقص التعبيري التي اصبح لها شهرة واسعة في انحاء العالم .

فرقة تقدم الجديد

وتزور بيروت خلال الشهر القادم فرقـــة مسرح واركلو لتقدم على مسرح لبنان بعـــض المسرحيات الراقصة بالطريقة التعبيرية التي اصبح لها هواة في المجتمع البيروتي . فقد مرت في لبنان عدة فرق من هذا النوعكفرقةبيجـــار للباليه وفرقة بنكولايس وهذه الفرقة نفسهـــا التي زارت بيروت خلال عام ١٩٦٨ .

واكثر المسرحيات التي تقدمها هذه الفرقة ماخوذة من المواضيع الكلاسيكية المعروفـــة ولكنها تقدم بطابع تعبيري حديث كما انها تتميز بالديكور والازياء التي تخلق لهذا النوع مـــن المسرح اجواء خاصة تترك في جمهور المتفرجين الاثر الكبير .



هكذا في الأصل

الى ملحق الأنوار الاسبوعي

شاطىء الامان

على شاطىء الامان رست
قوارب الاحبة ...
وارخت شراعها مستسلمة ...
مطمئنة .
فهي في شاطىء الامان .
حبيبان هما ... شقراء الشعر
جميلة .
زرقاء المقلتين حمر الشفاه ..
اسمر هو ذلك الحبيب طيب
هادىء الطبع حلو النطق .. قمة
الحب .
متعانقان في وئاق
اسلمت يديها الى قوة يده ..
عناق .. فقبلة فضحكة عالية .
تلك الاشعة المحرقة الشمسية .
تلهب حبهما .. تزيد حرارته .
فيسالها .. وتسالهُ .
ويجيبها .. فتجيبه
ثم يخطوان خطوة العودة
الى شرفة يقالهما .. الى رحاب
معبد حبهما .
الى شاطىء الامان .

■ مبارك الحشاش ، الكويت

لن أنساك

انت لي يا فراشتي ...
انت لي يا طيري الصغير ..
انت لي مهما طال الزمن وفرقتنا
الاعاصير .
الجرح الذي تركته بليغ ..
لن يطيب حتى تعودي لتلمسيه ،
لتمسحيه باطراف اصابعك الرقيقة .

■ محمد سنو ، بيروت

رعشة الولع

حبيبتي ...

من غابة البيلسان ، ومن كهف التشرد ، ومن جبال الاحزان ابحرت اليك في قاربي مع جراح دموعي المترسخة على مذود البكاء المخذول . وتمنيت ان اشرب المزيد من رحيقك ، دون عاقبة المصير المحتوم لان ليالينا المباة بخمرة العناق المحرقة ستدمرنا، وستجوع يدانا ، والليل اللجوج المعطاء سيغسل وجهي وجدائلك وخصلاتها المتعبة .

حبيبتي ...

احبك وشموعنا تحترق ، ولياليا تبكي ، لانني الهائم الدائم في عيونك .

احبك ولا ادري ، وحبي زوابع واعاصير ، فلا تجعلي اللقاء قصيرا بعمر القدر لاني احب بحرك وانا تواق لاعماقه .

احبك باعصابي ، بكلي ، وبروحي ، وبدمي ، والثواني ، والدقائق والساعات ، ساحطم اسوارها تحت اقدامك الندية الطرية وانا الذوب ولا تشعرين ، فقد سرقت النور من عيوني .

حبيبتي ...

لا تسأليني الى اين ، يوم كان الشاطىء قاحلا عندما لملمت بقايا جروحي ، وتهت في صحراء الندم ، مع مواكب الاشباح ، وانا عاجز عن التحديق بعينيك ، وانا الضائع وانا المعذب ، وانت رياح مزمجرة خانقة ، وهل لي بديل عنك ، وحبك تملك عروقي ؟!

انا الزمن الاصم فلن اسمع ولن اتعذب بعد اليوم ، ولن يطيب لي الفرح في يوم غروبك .

انا لا اريد القيد ، دعيني في رحلتي الطويلة ولست اعلم الى اين اسير .

اريد ان اعيش للذكريات ، لاني اخاف ان تاخذك الاقدار مني وانا بجانبك .

اخاف كل شيء حتى البسمة . على فم الطفل ، اخاف شفاهك المشتعلة الغاضبة كذلك اخاف حتى نفسي واليوم انا من اكون انا غير حافل بك لان زوارق النجاة في حياتيقد تكسرت واصبحتتتلاعب بها امواج الاقدار .

افار من حبك ، واية مسافات تفرق بيننا فانا النائم في سواد عينيك ولا تفصلني عنك سوى الرعشة فانا منك وانت مني . كلانا معذب . تفجرت قصتنا واصبحت على كل شفة ولسان وكل ما فينا تاوه للعناق ، للشهوة اللذة ، لرقة الجفن ، لخرق الانظمة وعدم التقيد بها ، لانني كدت اسهو في حبي ، وكدت اتغير في ولعي الى درجة انني ايقنت بان « الجنونية » في الغرام قد سيطرت علي ، وانا القوي الجبار .

هنا بعيدا وبعيدا عن الاه والحسرة يتعانق القمر مع حبيبته مع النجمة ومع الافلاك ولا يرتوي ابدا .

يا قبلة عمري ، شوقي اليك كبير جدا لانك قطعة من فؤادي الجريح ، اخاف ان يمسك اي مكروه ، حتى اخاف الزهرة ان تلمسك ، فانت كل ما ابدعته يد الحب .

حبيبتي ...

هل يعلم الجميع بانك ملهمتي ؟ ليتني اعلمتهم منذ البدء ، انك لي وحدي ، وابتسامتك الحلوة ، ويدك الناعمة وجسدك الرقيق الندي كالخمر المعتق والشفتان كالحلم لمن غيرهما يحرك لواعج غيرتي وهيامي .

جوعنا لن يطفىء لانك ربيع دائم في عمري .

■ سهيل تقي الدين

صادق جلال العظم

عندما نفكر في ان نكتب تاريخ الفكر العربي في هذا القرن يجدر بنا حين نصنف كل اديب او مفكر على حدة ، يجدر بنا او يتوجب علينا ان نضيف في نهاية البحث هذه العبارة : « كان من الممكن ان يكون اكثر جراة وعلى جانب اكبر من الصدق مع نفسه ومع ما يؤمن به لولا وجود اولئك الذين تعودوا ان يزعقوا في الظلام » .

من الضروري ان لا ننسى هذه العبارة ما دمنا نكتب للتاريخ . فبرغم كل ما قيل للان حول قضيةصادق جلالالعظم او بالاحرى قضية حرية الكلمة ، فلم يزل هذا الانسان رهن التحقيق والاستجواب والنظر فيما اذا كان بريئا او متهما .

قد لا ننسى ويجب الا ننسى اننا في عصر شعاره ان المتهم بريء الى ان تثبت ادانته لا العكس كما كان في الزمن الماضي .

لو لم يات حزيران المغروس في اجسادنا كلنا ، لكان ربما من الممكن ان نتقبل ما يحدث الان ، لكن بعد ان اصبحنا نعيش في عصر ما بعد حزيران ، وبعد ان اصبحنا مطالبين كلنا برفع الاجنحة عن اشياء كثيرة لنبحث لانفسنا عن قيم جديدة .

■ منذر عامر ، دبي

سفينة الحلم

— ١ —
في ليلة الميلاد ..
عاودني الحنين
الى الرحيل ...
والثلج
قد حجب الطريق
وامتص اصداء العويل
والعابرون ..
تساقطوا مزقا
على الدرب الطويل
وانا
تعابثني .. رؤى اسطورة
تدعى دليل

— ٢ —
في ليلة الميلاد
عاودني الحنين
الى السفر
والعالم المرفوض
قد آوى
باعماقي الضجر
فقد استوت ..
اشياؤه
وقد امحت
عندي الصور
فعلام
اشتاق الرحيل
علام
اهفو للسفر

— ٣ —
في ليلة الميلاد
كنت سفينة
تلج الزحام
بالياس ..
خيط شراعها
والحلم
يمنحها السلام

■ سلافة العامري

أخي

ابعث اليك سلام الله على الارض مملوءا بماء الكوثر مرصعا بالذهب والجوهر . المس سماحة نفسك ونبل شعورك وقد احسست بفيض من الهناء يغمرني ، وادركت ان الله قد خصني بنعمة يوم شاء ان يجعلنياكثر من اخ للصديق .

■ ابراهيم صقر

رجعت أمل !

■ الى امل جراح ■

رجعت «امل» ، رجعت من المهجر مع نسمة الشقيق والعنبر
وعاد الامل يضحكلها من جديد والقلب نور بعد ما تهور
وقبالها خيال الهنا تصور
رجعت « امل » ، رجعت مع الايام وغنى الجبل ، واخضر بر الشام
ما زقزقة « لينا » وفرح « بسام » وحلم الاديب ، المارد الاسمر

★ ★

رجعت « امل » ورجوعها ميمون رجوع الحمامة مع غصن زيتون
تا تبشر الدنيا ، ببطل مجنون يهز القدر ، يخلق قدر اكبر
يخربط عبوديتصنم الشقر
يضوي لياليناابقمر اخضر !

★ ★

رجعت « املنا » بسرعة الخيال للادب ، للشعر ، للاطفال
للفدائيين ... للابطال اللي يقتلو ، تالارض تتحرر
من بربري غازي ،ووحش اعور
نيابو : حديد ،وهيكلو محجر
وتبسيمتو : سموهوا اصفر

★ ★

ومثل ما رجعت « امل » للدار رح يرجعو لوارثنا الاحرار
لديارهم ويحطمو الاشرار . تالقدس تبقى قدس ليل نهار
وترجع ليالي الشرق تتنور
بضحكة سلام جديد ، ومزهر
مع عبير النصر .. والعسكر !

■ ابراهيم قهوجي ■



كتب جديدة

● « السياسات في المجتمعات البشرية » لانطوان جوزف ماضي . يتعرض المؤلف الى التاريخ السياسي والنظم السياسية التي رافقت البشرية عبر الزمن ، وما يؤكده لنا المؤلف ان السياسة عدة وجوه لم تختلف منذ كانت حتى اليوم ، فليس في السياسة صداقات دائمة ولا عداوات دائمة ولكن مصالح مشتركة .
(١١١ صفحة — حجم متوسط)

● « مولد الموت » وقصائد اخرى للمحامي عبد الله بشاره الخوري « نجل الاخطل » وهو يحتوي على قصيدته التي القاها في المهرجان الثاني لتكريم الاخطل ، والتي كانت تحية عائلة الفقيد الكبير لشعراء المهرجان . وفي هذا الكراس يبدا عبدالله خوري رحلته مع الشعر متابعا الطريق الذي سار عليه والده .
(١٩ صفحة — حجم صغير — تبرع للصليب الاحمر)

● صدر العدد الثالث من مجلة « الكلمة » التي تصدر في الجمهورية العراقية ، وتعنى بالادب الحديث . يحتوي هذا العدد على دراسات ادبية ونقدية في الادب الحديث ، بالاضافة الى القصائد والقصص القصيرة الجديدة . هناك دراسة حول شعر فدوى طوقان ، من الحزن الرومانسي الى شعر المقاومة ،بالاضافة الى حوار حول الشعر ، وهناك قصيدة جديدة للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي .
(١٢٠ صفحة — حجم صغير)

● صدرت في عمان جريدة «المجاهد» اليومية لصاحبها كمال كيلاني ، وهي الصحيفة الثالثة التي تصدر في المملكة الاردنية الهاشمية . وتعتمد هذه الجريدة على اسلوب صحفي جديد ، وعلى تكتيك علمي حديث بالاضافة الى اهتمامات خاصة بالادب والفن والسينما والمسرح والمجتمع ، بالاضافة الى الريبورتاجات المصورة والتحقيقات الخاصة .

● صدر العدد السنوي من جريدة « صدى الشمال » التي تصدر في العاصمة الثانية طرابلس ، وتحتوي على جملة مواضيع هامة ومتنوعة ابرزها : مدخل الى دراسة ازمة اليسار في لبنان لعادل الياس خوري ، وازمة حرية الفكر في لبنان لحسين ضناوي ، وملف النظام الديمقراطي البرلماني في لبنان لفؤاد دعبول ، بالاضافة الى عدة مواضيع بارزة ومصورة .

● « دروس من الهزيمة » ، مجموعة محاضرات ، لمنيف الرزاز ، وصلي التل ، صادق جلال العظم ، اكرم زعيتر ، حمد الفرحان ، فواز شرف ، وهي عبارة عن مجموعة محاضرات القيت في النادي العربي باربد ، في موضوع واحد هو هزيمة الخامس من حزيران ، بعد عدة اسئلة هائلة تثبت غضبا او قرفا في تفكير كل منا ، وفي وجدانه ! بل هي براكين لما تخمد ، وتوارب مكسرة المجاذيف تبحث عن شواطىء لم تلح بعد !!
هل نحن امة وشعب واحد !!
هل نحن جديرون بالبقاء والتفوق !!
هل نحن كذلك ؟ ام اننا مجرد قطعان بشرية تسير وراء كل من ارتفعت القناة من التطبيع ؟
المحاضرات الست تجيب على هذه التساؤلات .
(١٥٧ صفحة — حجم متوسط — منشورات مكتبة عمان)

الكتب الرائجة (خلال اسبوع)

الكتاب	المؤلف	الناشر
كتب سياسية		
١ — النقد الذاتي بعد الهزيمة	صادق جلال العظم	دار الطليعة
٢ — سوسيولوجية الثورة	ترجمة لوفان ترتوط	دار الطليعة
٣ — نظرية الطبقة الممزقة	ترجمة محمود موسى	دار الكاتب العربي
٤ — حركة المقاومة الفلسطينية (الكتاب الثاني)	الجبهة الديمقراطية	دار الطليعة
٥ — العمل الفدائي	معين محمود	المكتب التجاري
غير سياسية		
١ — الحب العذري	صادق جلال العظم	دار الطليعة
٢ — رسائل امرأة دمشقية الى فدائي فلسطيني	امل جراح	دار العودة
٣ — صانعو التاريخ	فيليب حتي	دار الثقافة
٤ — اوراق ريفية	حسيب عبد الساتر	
٥ — يوميات جرح فلسطيني	محمود درويش	دار العودة

■■ ساهمت في اعداد هذه القائمة « للملحق » مكتبات : الجامعة ، اسكواير ، المكتبة الشرقية ، راس بيروت ، سامي برباري ، العرفان ، المر الحوان .

أمطار الخجل .. تغمرنا !

■■■ بما ان هذا الوضع المهيوب الذي يشبه البطيخ : « بيحلّي وبيسلّي وبيمشّي الحمار » ، قد وضع في راسه العالي عالي ع الليالي خطة ينوي من خلالها ان يشيل الزير من البير وان يزحزح جدار الغربة القاتلة الموجود بينه وبين الشعب حيث حرقوا سنسفيله بالحديث عن الاجداد والامجاد ... والاحفاد وايضا وايضا بسلام من الرب نطلب !

بما انه وَضْع موضوع ، خطا ، في غير مكانه ، فقد صار لزاما علينا ان نفتح عيوننا (عشرة عشرة) ، وان نستاجر آذانا جديدة نستمع بواسطتها لكل شاردة وواردة حرصا منا على الوضع اولا ، طبعا ... طبعا ، وثانيا علينا نحن افراد الشعب الذين نشكل الموضوع : شكلا ومضمونا ، لكي لا نظل موضوعين على الرف الذي فبركه لنا رجال المسؤولية الذين غمرونا بمعروفهم وغيرتهم علينا ... آمين !

★ ★

فاحت رائحة المسؤولية الكريهة من مختلف الزوايا . وفي الزوايا خبايا وخفايا ... كما هو معروف ومالوف لدينا .

صار كل شيء باهتا .

انفرط العقد ، وعلى الشاطر الان ان يجمع حبات السبحة التي كرت على الارض .

★ ★

عال . كل شيء ما يزال مالوفا من خلال هطول امطار الخجل علينا .

صرنا بحاجة الى شمس . رائحة العفونة السياسية والادارية والتنظيمية والتخطيطية و ... و ... تملا انوفنا .

شمس . شمس . فلنخرج افكارنا الى الشمس ، تطهّرها ، تكويها .

«جيبوا مماولكم حطوها بوجه الريح »، هاتوا ما عندكم من امتعة : احرقوها جيدا، احرقوا معها افكاركم المريضة وصافحوا المستقبل .

ان اسرّة الماضي صارت اشواكا تدمي اجسادنا ... وضمائرنا .

خبز الماضي لم يعد يشبعنا .

اشياء الماضي تحولت الى فولكلور .

غنوا باصوات المستقبل ، امتشقوا سيوف الثورة السحرية . ذوبوا في الثورة . انسجوا من اعصابها وزواهها زوارق سفركم الجديد الى جزر التوق والتحدي .

★ ★

سيدي لبنان :

نرفض اليوم ، اكثر من اي يوم مضى ان تظل مختبئا ضمن اسطوانة المسؤولية التي يدوّرها المسؤولون ، — وقت الحشرة — ، فتبدا تصفك بانك السيد العزيز الحر المستقل ... بانك وطن الاشعاع والنور ... بانك ملتقى حضارات الشرق والغرب ... بانك تتمتع بمناخ جيد ... بانك ... بانك !

صرنا نرفض مختلف هذه (المصائب الحضارية) التي ينعتونك بها ، لاننا نريدك ان تخرج من سجن التعادلية ، من مطار السكوت ، من عزلة غض الطرف ، من ومن اشياء البستك ثوب الذل حينا وثوب الفوضى المستشرية فيك احيانا .

ان المستقبل يومىء لك .والمستقبل .. كما ، لا يعلم ، المسؤولون الكرام ، ليس نائبا او وزيرا من بين نوابك ووزرائك الافذاذ !

المستقبل لا يصدر بيانا عن (المشاريع العمرانية) التي ينفذها المسؤولون .

فعلا ، المستقبل ليس شيئا من هذا ابدا !

★ ★

لقد امتلانا خداعا . اصبح اللف والدوران عاصمة بيننا . اصبحت التفاهة السياسية الرخيصة شعارا بيننا .

ان غرف الوضوح لم يدخلها احد من مسؤولينا بعد . ما زالوا ضمن جدران غرف الغموض يزيدوننا غموضا ! ما زالوا يمصّون اي وهج منتظر ان يصدر من احدنا ، لانهم لم يعتادوا على الوهج . لان تاريخهم يشهد عليهم بفقر الابتكار .

لقد تحالفوا على قهرنا . اعتادوا على نفينا الى دهاليز التخدير .

★ ★

ان شيئا ما يتحرك في ساعة ما في مكان ما .

ان اشياء جديدة تنمو ، تكبر . وليس مستغربا ابدا ان نسمع «الصوت» .

ليس مستغربا ان يمتد الصوت بعيدا بعيدا هذه المرة .

ضاعت المفاتيح !

■■■ مع كل ازمة تعصف بنا ، تبرز فورا حملة (تطمينات حريرية) لا يسع المنصت اليها من ان يتملكه العجب !

لانه ، على ما يبدو ، هنالك بيانات جاهزة لا تحتاج الا الى تغيير اسماء الاعلام والتواريخ يطلقها المسؤولون الاعزاء ليطمئنوا الشعب الذي لا اعرف لماذا هم بالذات انسالوا عنه الى هذا الحد !

ولكن اي بيان من تلك (البيانات التاريخية) يظل ناقصا ... مجرد فشة خلق تطمينية وكفى !

كان كنزا مسحورا يريد المسؤولون ان يفتحوه ، ليرى الشعب انه يحوي حلولا ابدية لمشاكله ... ولكن المفاتيح هي السبب . فقد نسيها المسؤولون في احد الامكنة ولهذا فقد يتعذر عليهم فتح الكنز !

★ ★

الغريب في الامر ان المفاتيح ما تزال ضائعة ، منذ الاستقلال حتى اليوم . والغريب اكثر ان المسؤولين لميقتنعوا بعد بان الشعب لم يعد يصدق حكاية « سر المفتاح الضائع والكنز المسحور » التي يحاول المسؤولون ان يدخلوها ، ابديا ، في اذهاننا .

لانه ، لا بد اخيرا للشعب من ان يعثر هو على المفتاح الجديد ويكتشف كنزه الخاص الشرعي ويتركوهم الكنز الحكومي الذي لا وجود له ابدا .

لان وضعا ياكله السقوط الى هذا الحد ، لا بد له من ايجاد مفتاح جديد له ... طبعا ، مع ايجاد الايدي القوية التي تفتح باب الضوء الجديد .

اغنية الزمن المسحور

■■■ يا التي هناك : امامزمن يحسدك على طلتك .

يا مضيئة في ليالي السام والهلع : اشتاقك .

رحلتا . رحلت الى جزيرة وقد ، كان الاسى بطل اقاصيصك .

احب اقاصيصك .

كان الحزن سيدك .

اشتاق حزنك .

يا سيدة الغبطة والانتظار : فرحت بكلماتك محطات فراقي وجزري الهائمة في زمن التفتح والرغبة .

★ ★

سمعت منك صوت الرحيل ، يغني لي اغنية الزمن المسحور ، يضعني امام المفترق الصعب .

انت الاغنية . وحدك الزمن المسحور ، وانا الصدى الطالع من وهجك .

روبير غانم